٥٨٠

580

HARLEQUIN

دار م. النحاس

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

الحرارة والشوق

كارين فان در زي

الحرارة والشوق

كارين فان در زي

كان رجلاً لتبني حياتها معه، رجلاً مناسباً ليكون والداً لأطفالها.

بالنسبة الى زوو لانغدون، كان براينت سنكلير حلماً وتحقق انه الرجل الأفضل بالاضافة الى عائلته الجاهزة! لكن كان هناك مشكلة واحدة مهما جرى بينهما فمن المؤكد أنه شيء مؤقت ولن يدوم. تخلت عنه زوجته، فلم يعد لبراينت اية رغبة للارتباط بإمرأة أخرى. انه مستعد لتقبيل زوو وليحبها، لكن، مع كل تلك الحرارة والشوق في علاقتهما، كان جاهزاً ليدعها ترحل!

www.elbasheer.com

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

«شكراً لك على العشاء، لقد استمتعت به كثيراً!»

«أنا أيضاً.» التقت عينا برينت الزرقاوان بعينيها فشعرت وكأنه من الصعب عليها أن تتنفس. شعرت زوو بذراعيه تحيطان بها وبأنه يقبلها بحنان.

تنهدت على مضض، فابتعد عنها.

قال برينت وببطء: «اعتقد أن هناك شيء ما يحدث بيننا.»

كارين فان در زي

تحب كارين الهولندية الاصل شيئين في حياتها: كتابة الروايات والسفر. وتشعر انها محظوظة جداً لأن زوجها الأميركي مثلها يحب السفر. تزوجت في غينيا وانجبت طفلتها الاولى في غانا والثانية في اميركا كما عاشت سنتين في اندونيسيا وانجبت هناك صبيا. والآن تعيش مع عائلتها في فيرجينيا، لكن ليس لوقت طويل.

٥٨٠

khouloub Abir 580

الحرارة والشوق

كارين فان در زي

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

رتبت زوو الاوراق امامها على المكتب وهي تشعر بالقلق، بعدها نظرت الى ساعتها. سيصل قريباً. تنفست بعمق، وهي تنظر ثانية إلى المعلومات المدونة في الملف المفتوح أمامها، معلومات قد حفظتها كلمة كلمة. حسناً، مررت أصابعها داخل شعرها وضغطت على شفتيها. إنها لا تشعربأي قلق، بالطبع هي ليست قلقة. فهذا اجتماع روتيني بين مستشارة المدرسة ووالد تلميذ لديهم. وهي تعمل بهذا المجال طوال الوقت. وهي دائماً جاهزة، ومليئة بالثقة. كما ان شعرها مصفف ببساطة ويحيط بوجهها بطريقة ناعمة وليس اشعث ومضخم كما كان عادة. كذلك بدلتها مليئة بالأنوثة لكنها عملية أيضاً. وعندما تنظر الى نفسها في المرآة هذه الأيام تشعر وكأنها بالكاد تعرف نفسها.

بالعودة الى المعلومات الموجودة في الملف، السيد برينت سنكلير، هو الأب والمسؤول بمفرده عن بول الذي يبلغ الاثني عشر عاماً. لم يكن هناك اي ملاحظة عن أمه. ولديه مركز كبير في الشركة العالمية ولقد وصل قريباً من الأرجنتين الى واشنطن. وانتقل مباشرة الى الطابق الأول في مبنى قديم في المدينة حيث تسكن زوو وقد انتقلت الى هناك مؤخراً الى الطابق الثاني. لقد عادت هذا الصيف الى واشنطن من افريقيا، حيث امضت السنوات الست الاخيرة – امضت

عامين منهما في تنزانيا، سنة في موريتانيا وثلاث سنوات في الكاميرون.

كان السيد سنكلير رجلاً وسيماً، طويلاً ولديه كتفين عريضتين وعينان زرقاوان في وجه اسمر. شعره اشقر كثيف ولديه ذقن مربع كما ان هناك هالة من الثقة بالنفس تحيط به. انه من النوع الذي يثير اهتمام من يراه.

لقد تقابلا من قبل، امام الباب الرئيسي. ولقد تعارفا على بعضهما كما الناس المهذبون الذين يقطنون في ذات المبنى. نظر اليها وهو يبتسم فشعرت وكأن قلبها قد توقف ليس للحظة بل لأثنتين. لم يكن هناك اي سبب لما جرى الا شيء كالحب من النظرة الاولى، اوقصة حب خيالية، وهذا شيء مخالف للمنطق او العقل.

ومهما كان هذا الشيء الذي ولد بينهما، فهي بالطبع تجلس هنا وراء مكتبها الصغير في مدرسة اولمبيا العالمية وقلبها معلق في حلقها تنتظر دخوله من الباب.

لم يكن الموضوع ايجابياً هذا الذي ستبحثه معه، لسوء الحظ. كان ابن السيد سنكلير يتراجع بطريقة سريعة. مرت اربعة اسابيع في المدرسة ولقد حصل على اعداد كبيرة من الأصفار في كل المواد. فهو لا يقوم بواجباته المدرسية كما انه لايشارك في اي امتحان.

تنهدت زوو. فعملها المؤسف انها ستبلغ السيد سنكلير ان هناك مشكلة كبيرة مع ابنه الوحيد. وعادة الاهل لا يحبون سماع هذا النوع من الأخبار. وهي لا تحب ابداً ان تخبره بهذه الامور. ظهر أمام الباب عند الساعة الثامنة بالتحديد، طويلاً ومؤثراً. محدقاً بعينيه المشعتين بوجهها.

قال:«صباح الخير.» كان صوته رناناً،انه من النوع المؤثر على اعصاب سامعه ويجعل دماءها تغلي.

توقفت الكلمات في حلقها وهي تنظر الى بدلته وقميصه الزرقاء مع ربطة عنق مناسبة. فالرجل يعرف كيف يرتدي، وكيف يريد ان يبدو امام الجميع. تمكنت زوو من رد التحية عليه وطلبت منه الدخول. وقفت وراء مكتبها وصافحته. كانت يده كبيرة ودافئة مما جعلها تشعر بارتباك من لمسها. اشتمت رائحة خفيفة من الصابون للحلاقة. كانت الساعة الثامنة صباحاً ولابد انه نهض للتو.

ترك يدها وجلس رافعاً بنطاله قليلاً. فرأت حذاءه الأسود. لقد رأت الكثير من الرجال يرتدون ثياباً انيقة واحذية تلمع في مكتبها في الاسابيع القليلة السابقة. لكن لم تشعر بأي اضطراب في قلبها. ولا اي تأثير في احساسها. ولم تفكر بأي شيء مقلق. فكل هؤلاء الرجال لم يسببوا لها ازعاج. لكن هذا يفعل، وبطريقة كبيرة.

كان هناك شيء مختلف بهذا الرجل، شيء لا تستطيع توضيحه بمنطق. لماذا رجل مثل السيد سنكلير ينتقل للعيش في شقة مستأجرة؟ انها شقة جميلة في الحقيقة، محاطة بمنطقة قديمة، لكن رجل بمستواه ومركزه الإجتماعي يجب ان يسكن في منزل خاص اوفي شقة تتوفر فيها كل اساليب الرفاهية. لقد لاحظت سيارات فخمة امام مبناها، وقد رأت زواره وكأن ثيابهم قد وصلت تواً من باريس او روما.

قال وهو ينظر اليها بهدوء:« افهم انك تريدين بحث موضع بول في المدرسة.»

وضعت زوو يديها على المكتب وقالت:«نعم.» تنفست

بعمق. فجأة شعرت انه من الصعب عليها ان تركز على المشكلة بين يديها.

كان لديها فرصة ان تقابل بول وتتحدث معه قبل ان تبدأ المدرسة، وذلك في الخارج امام المنزل. فهو ولد وسيم، وصغير الحجم قليلاً بالنسبة الى عمره، ذات شعر بني وعينان رماديتان لكنهما يفقدان الحماس والقوة التي تشع من عيني والده، لكن على العكس تحمل عيناه احساساً بعدم المسؤولية وعدم الاهتمام. لسبب لا تستطيع تحديده كانت تشعر وكأنها منجذبة اليه. وعندما تقابلا للمرة الأولى، كان ودوداً معها وتحدث معها بصداقة، لكن ما ان رآها في المدرسة عندما طلبت ان تتحدث معه حتى تغير كلياً.

قالت بصوت هادىء وعملي:«ان ولدك ولد طيب، سيد سنكلير، ومن الواضح انه ذكي جداً.»

ابتسم ابتسامة مقتبضة وقال:« اعرف ذلك.»

نظرت الى الملف وتابعت:« لقد فهمت انك كنت تعيش في بونس ايريس منذ خمس سنوات وان ولدك تعلم في مدرسة عالمية هناك.»

احنى رأسه وقال:« صحيح.»

قالت بحذر:« اعتقد انه وجد الحياة هنا متغيرة تماماً.» فالمدرسة مليئة بتلاميذ من كل الجنسيات الذين انتقلوا من بلد الى آخر.

قال وقد تجهم وجهه قليلاً:« نعم. هل هناك مشكلة ما، آنسة لانغدون؟» بدا من صوته انه يريد الإنتهاء من هذه المقابلة.

نظرت مباشرة اليه وقالت:« في الحقيقة، نعم، ولندخل

مباشرة في الموضوع، سيد سنكلير، فالتقارير عنه كلها تفيد انه يحصل على علامات راسبة في كل المواد. ولقد ارسل ذلك التقرير لك مع بول هذا الأسبوع كي توقع عليه.»

« لم اره.»

لم تتفاجأ بذلك. ربما وجد بول من الوقاحة ان يدع والده يرى هذه العلامات. اعطته زوو نسخة عن تلك العلامات من ملفها. نظر اليها وتجهم قبل أن يقول:« هل أنت متأكدة ان هذه العلامات صحيحة؟»

« نعم، متأكدة. لقد تحدثت مع كل اساتذته وحسب المعلومات الواردة عنه فهذا وضع غير عادي. انه ذكي وليس لديه اي عوائق تعليمية وان علاماته السابقة كانت ممتازة.»

هز رأسه وقال:« نعم، اذاً اين هي المشكلة؟»

« ان ابنك لا يقوم بأي واجب عليه وهو لا يدرس او حتى يقرأ ما يطلب منه. لقد تحدثت معه وبدا لي انه غير مهتم للأمر او لبذل اي مجهود لتغيير هذا الوضع.»

ساد صمت قليل، بعد ذلك قال ببساطة:« اعتقد ان ذلك يسمى نوع من الثورة والتحدي.»

«اعتقد ان الأمر اكثر من ذلك وبصراحة انني منشغلة البال بشأنه.»

قطب حاجبيه وقال:« منشغلة البال؟ ماذا تقصدين بالتحديد؟»

ارادت ان تقول، انه يبدو محبطاً، لكنها فكرت ان من الأفضل ان لا تفعل. «لقد تحدثت معي عدة مرات وقد بدا لي غير مهتم ولا يرغب في التعاون او التعرف على أحد.

وبالنسبة الى افادات معلميه من مدرسته في الأرجنتين فهذه ليست طبيعته. من الواضح ان هناك شيء ما يزعجه. شيء ما غير طبيعي.»

نظر الى عينيها وقال ببساطة:« اعتقد انك تبالغين. فهو في هذه المدرسة منذ اربعة اسابيع فقط. اليس الوقت قصيراً لتحليل وتشخيص ما به؟»

لم تشعر ان عليها الدفاع عن نفسها، قالت:« انا لم اعطي تشخيصاً لحالته. اقول فقط انني اعتقد ان هناك مشكلة . وكلما اسرعنا بتحديد المشكلة، كلما سهل علينا التعامل معها.»

ربت بيده على كرسيه، وقال:« نحن بالكاد وصلنا الى الولايات المتحدة، آنسة لانغدون. انه يحتاج لوقت كافي ليتمكن من التأقلم مع محيطه الجديد. وهو لم يمض في هذه المدرسة اكثر من اسابيع قليلة.»

« نعم، بالطبع.» فليس هناك من شك انه يقول الحقيقة، لكنها شعرت بوضوح ان هناك المزيد من مجرد التأقلم. انزعجت لرؤية عدم الإهتمام بحال ابنه، تابعت:« هل قال لك شيئاً ما غير ذلك جيد، على ما اعتقد.»

ليس كل شيء جيد. ووهو ليس أمراً طبيعياً بالنسبة الى ولد، سعيد نشيط وذكي ان يتحول فجأة الى ولد محبط لا يقوم بواجباته المدرسية ولا يبدي اي حماس لأي شيء.

« هل تحدثت مع ابنك عن واجباته المدرسية؟»

«لقد اخبرني انه لا يواجه اية مشكلة بأي شيء، وقد اعتقدت ان هذا صحيح. فأنا لم أنتبه له يوماً ليقوم بواجباته المدرسية. كان دائماً مسؤولاً عن ذلك بنفسه.»

« لكنه لم يعد كذلك.»

قال ببساطة:« هذا ما يبدو.»

فكرت بصمت، هذه هي الحقيقة، ألم يلاحظ بعد؟ ألم ينتبه للأمر؟ كيف لوالد ان لا يلاحظ ان ابنه لا يقوم بواجباته المدرسية؟

قالت بهدوء:« انه لا يقوم بفروضه المدرسية، ولا يشارك في الصف. كما وانه لا يلعب كرة القدم. ومدون هنا في الملف انه كان لاعب كرة مميز في مدرسته.»

« صح. اتوقع انه سيعود الى ماكان عليه عندما يدرك انه فقط يعاقب نفسه بتصرفه هذا. انه ولد متفاخر واراهن انه لن يحب النظر الى هذه العلامات الراسبة لوقت طويل. سيتمكن من استجماع قدراته، وان يعوض بقوة ويحسن وضعه.»

« هل تمانع ان سألتك بعض الأسئلة بعد؟»

نظر الى ساعته وقال:« ليس لدي المزيدمن الوقت.»

غضبت بسرعة. هذا الحديث يتعلق بابنه! اردت ان تقول له ذلك. وانت لا تملك الوقت الكافي.

انها تعرف مثله كثيراً، اهل لا يملكون الوقت الكافي لأطفالهم، او لا يهتمون مطلقاً لحياتهم. كانت تلاحظ ان ليس هناك اي ارتباط عاطفي بينهم، وتشعر بالأسى نحو الأطفال، وبعدم الرضى نحو الأهل، لكن هناك تتوقف. كمرشدة في المدرسة تقوم بكل ما تستطيعه، لكن ليس مناسباً ان تتورط عاطفيا في هذه الحالات. والغضب الذي تشعر به الان لا يناسبها. نظرت الى يديها على المكتب واستجمعت قوتها. شعرت بقلبها يخفق بسرعة، قالت:« هل هناك اية مشكلة في المنزل تسبب له الاحساس بعدم الرضى والفرح؟»

صمته كان مؤثراً، قال:« لا ليس اية مشكلة في المنزل، آنسة لانغدون.» وعلى الرغم من صوته الهادىء شعرت ببرودة قاتلة وكأنه يقول لها، لا تتدخلي في شؤوني.

بدأت اعصابها تتوتر، لكنها رفضت ان يظهر ذلك على وجهها، قالت:« هل اراد بول العودة الى الولايات المتحدة؟»

هزكتفيه وقال:« لم يكن هناك من خيار آخر امامه.»

لم يكن هذا جواباً لسؤالها، قالت:« رضي ام لا، هل اراد ان يغادر الأرجنتين؟»

« لا، واعتقد هذا سبب ثورته الآن. لا اتوقع ان يدوم الامر طويلاً. سيستقر بعد فترة قصيرة وسيصبح لديه اصدقاء.»

هزت برأسها، متمنية ان يحصل كل هذا، وخائفة من ان لا يحدث.

وقف وهو يقول:« مع كل احترامي، آنسة لنغدون ارجوك لا تبالغي بالأمر. فمدة شهر ليست بفترة طويلة وكافية.» ابتسم قبل أن يتابع:« ولا اعتقد انه حان الوقت للتصرف بخوف.»

كانت لهجته مهذبة لكنها تحمل وقاحة مبطنة. وهذا ما اغضبها. ومن الواضح، ان تكملة الحديث معه لافائدة منها. لقد اوضح الامور لها. فما بال هذا الرجل؟ لما لا يشعر بالقلق؟ كل الذي تريده هو التعاون لمصلحة ابنه.

نهضت هي ايضاً، وقالت بهدوء:« لنأمل أن الأمور ستسير إلى الأفضل. وارجوك اتصل بي عندما ترى ان هناك مجال للمساعدة، سيد سنكلير.» من المحتمل انه لن يفعل، لكنها تقول ذلك بشكل آلي. وتابعت:« هذا هو سبب وجودي هنا.»

قال :« شكراً لك.» نظر مباشرة اليها، وفجأة ابتسم ابتسامة ظهرت في عينيه وتابع:« ربما نستطيع التخلص من

هذه الشكليات. فنحن جيران، في النهاية. نادني برينت.»

احنت رأسها بتهذيب وقالت:« شكراً لك، وانا ادعى زوو.»

أومأ برأسه قليلاً، ولمعت عيناه وهو يقول :« الى اللقاء، زوو.»

اغلقت الباب وراءه وعادت لتجلس على كرسيها وراء مكتبها وتتنهد بقوة.

لم يعجبها الرجل، ولم تعجبها مواقفه الباردة والكبرياء الواضح في صوته. كما انها لم تحب عينيه اللامعتين.

لم تعجبها طريقة ابتسامته لها.

بل، اعجبتها كثيراً.

زفرت واسقطت رأسها على المكتب.

الفصل الثاني

أمضت زوو نهارها وهي تفكر ببرينت سنكلير، وكأنها ترى عينيه الزرقاوين، وتشعر باضطراب في داخلها. كذلك سيطرت عليها افكاراً مرتبكة عن والد يتجاهل انه قد يكون هناك مشكلة في حياة ابنه، والد يحاول بوضوح ان لا يأخذ الامر بجدية ويتحدث عنه. ذلك لا يعجبها ، لا يعجبها البتة.

لم يكن الأمر سهلاً عليها. لكنها صممت أن تحاول مساعدة بول. فهذا هو عملها. وهناك شيء ما في الولد، تلك النظرة البائسة، التي أثرت فيها كثيراً.

تناولت الغداء مع عدد من الأساتذة ومن بينهم السكرتيرة السمينة، التي تعتبر شغلها الدائم الثرثرة. فلدى آن مصادر سرية للحصول على المعلومات في واشنطن.

لاحظت ان برينت ذهب الى مكتب زوو هذا الصباح. انها تعرف عنوانه وتعلم ايضاً من يكون وكانت ترغب في اخبار ذلك للجميع. ولد برينت سنكلير من عائلة غنية وهو يملك شركة عالمية يديرها بنفسه. وبالعودة الى تقارير المدرسة، لقد رأس أكبر المشاريع في مناطق مختلفة من العالم... ولقد عاد أخيراً من الأرجنتين. أجرت احدى مجلات الأعمال... التي لا تذكر آن اسمها... مقابلة مع برينت عن العمل الكبير الذي انجزه. لقد تزوج مرة،منذ عدة سنوات، لكن ماذا حصل لزوجته لا أحد يعلم.

قدم الجميع اقتراحاتهم. لكن زوو بقيت صامتة تصغي، وهي تتناول طعامها.

وكان السؤال المهم الثاني لماذا رجل مثل برينت سنكلير يعيش في شقة مؤجرة، لكنه أمر جميل. أوليست زوو محظوظة لتعيش معه في ذات المبنى؟ تخيلوا الإحتمالات.

سألت آن، وعيناها مفتوحتان والشوق بالتطفل يظهر منهما:« هل دخلت مرة إلى بيته؟»

كان جواب زوو النفي. وسألت اذا احد ما يريد القهوة. فهي لم تشعر بالراحة وهم يتحدثون عن برينت سنكلير، مع انها، وان ارادت ان تكون صادقة مع نفسها، عليها الإعتراف انها كانت تشعر بالإهتمام كالمجنونة .

في الوقت الذي اغلقت فيه مكتبها عند الساعة الرابعة، كانت أكثر من جاهزة لتغادر الى المنزل. كانت الطريق طويلة لكن مريحة وهي تتنشق الهواء المنعش في اواخر الصيف. كانت الازهار متفتحة بألوان الخريف الدافئة في حدائق المدينة الصغيرة وحول المباني الحجرية. لم تعد الى بلادها في الخريف منذ سنوات ولقد نسيت كم هي جميلة في هذا الوقت من السنة.

لم تشتر بعد سيارة ولقد دبرت نفسها بدونها، فكانت تتنقل بالسير او استعمال النقل العام للمسافات البعيدة. ربما تستطيع الانتظار حتى قدوم الربيع، عندها سيصبح التنقل ممتعاً بالذهاب الى المناطق المجاورة.

توقفت عند الخباز واشترت خبزاً اسمر. رأت امرأة شابة تحمل بين ذراعيها طفلاً صغيراً وتنظر الى زاوية الفاكهة. حدقت زوو بالوجه الصغير النائم وشعرت بشوق كبير

يسيطر عليها. انها بحاجة الى طفل، تضمه وتحبه. لكن من الأفضل ان تلتقي بالرجل المناسب اولاً، بعدها يأتي الطفل، فكرت بقلق وهي تبتعد وتضم حقيبتها الى صدرها. لقد اصبحت في التاسعة والعشرين من عمرها. ومن الطبيعي جداً ان تطلب هذه الأشياء من الحياة. انها مصممة ان تكون زوجة رائعة وأماً محبة وهادئة.

ضحكت من نفسها. من السهل قول ذلك دون القيام به، لكنها جاهزة لتثبت ذلك. احياناً تشعر انها بحاجة لتقدم حبها... وكأنها تحمل الكثير منه لدرجة انه سيطفو ان لم تشاركه مع أحد.

قالت لنفسها، انها حمقاء، وابعدت أفكار الحب والمشاركة من بالها.

وصلت الى منزلها، صعدت الدرج الحجري ووصلت الى الباب الرئيسي وفتحته. نظرت الى صندوق بريدها في المدخل، كان هناك رسالة من نيك، وهذا ما جعلها تشعر بالفرح، اسرعت الصعود على الدرج الى منزلها، متشوقة لقراءتها. صنعت فنجاناً من الشاي، وخلعت بدلتها لترتدي جينزاً وقميصاً قصيرة الاكمام، ورمت بنفسها على الصوفا وهي تحمل الرسالة.

كان نيك استاذ في مادة العلوم في المدارس خارج الحدود في الكاميرون حيث عملت هناك لمدة ثلاث سنوات. اخبرها عن الناس الذين تعرفهم... وعن اثنين تزوجا مؤخراً وأقيم لهما احتفال قبلي كبير، وآخر اخبار التلاميذ والمعلمين، وعن الأعشاب التي شفت ألم قدمه، كما اخبرها عن معلمة اللغة الإسبانية التي يحبها.

لقد تخلت صديقتي الإسبانية عني من اجل شخص آخر.

بالكاد استطيع الاستمرار. الوحدة القاتلة تدخل في كل جزء من حياتي. لما غادرتنا، زوو؟ انت أفضل صديقة لدي. كان يجب ان تكوني هنا كي تخففي من يأسي الكبير.

ماذا علي أن أفعل؟ امضي اوقاتي وحيداً الا اذا اتى جاكوب ومعه شرابه العشبي الغريب فنجلس ونتحدث عن الحصاد وعن العوامل النفسية الغريبة للنساء واتصرف بشكل غير مشرف وهذا ما أندم عليه في صباح اليوم التالي. الوحدة حالة مشتركة، ومن المحتمل أن تصبح دائمة. اشتاق كثيراً للحلويات التي كنت تصنعينها من جوز الهند والشوكولا وحديثك المشوق، لكن منزلك مازال مهجوراً وكلما أمر من هناك احلم بأعجوبة تعيدك اليه.

نحن نفتقدك. نفتقد منزلك والراحة والصداقة التي نشعر بها عندك. كان منزلك ملاذنا في بلاد الإغتراب هذه.

لاحاجة لأن أقول، بأنني أسأل نفسي دائماً لما لا ازال هناك. وانا ازداد هرماً كل يوم بينما ابقى في هذه البلدة الافريقية. والسبب هو انني احب هذه البلاد.

كما اتمنى ان تكوني سعيدة في شقتك الجميلة في عاصمة بلادنا. في لحظات اليأس احاول ان اتخيلك بنفسي: تجلسين في غرفة مليئة بالنباتات وفي يديك فنجان شاي لذيذ. ومدفأة صغيرة في الليالي الباردة. ورائحة شهية لشيء ما يخبز في الفرن.

اتمنى ان تجدي ما تبحثين عنه، زوو. ان تتزوجي وتجلسي على الصوفا وزوج وسيم بجانبك، وتحملين طفلاً في حضنك لديه مثل عينيك الكبيرتين البنيتين ووجهك الدافىء. كم هي جميلة هذه الصورة!

احياناً اتساءل ان كنت سأمضي بقية حياتي هنا في افريقيا، متحولاً شيئاً فشيئاً الى شخص غريب الأطوار...

ضحكت زوو بصوت عال. فنيك شخص غريب الأطوار حالياً. لقد اصبح في الأربعين من عمره، ولم يتزوج بعد ولقد تنقل في كافة اقطار الارض، مستقراً في كل بلد عدة سنوات ليعلم او ليقوم بأعمال مهمة.

وهي أيضاً، بالطبع كانت تسير، بذات الإتجاه... مباشرة لتصبح انسانة غريبة الأطوار.

امسكت زوو بإبريق الشاي الجميل وملأت فنجانها. واخذت تشربه على مهل، وعندما انهت الرسالة. قالت لنفسها. مسكين نيك. انه يعيش بمفرده في بلدة افريقية صغيرة.

فكرت فجأة، ومسكينة أنا، اعيش بمفردي في بلدة اميركية كبيرة. ضحكت من نفسها، قالت بصوت عال:« اه، كفى.»فبعد كل شيء هذا ما ارادته... العودة الى بلادها، والإستقرار ليصبح لها جذور. كيف يصبح لها جذور.

وضعت رسالة نيك على الطاولة، ونهضت واخذت تتجول في شقتها الصغيرة. انها شقة جميلة ابوابها من خشب السنديان القوي كذلك ارضها الصلبة. وهي تعود الى مئة وخمسين سنة سابقة. وقفت امام نافذتها لترى شارعاً صغيراً محاطاً بالأشجار وعلى جوانبه منازل تاريخية متشابهة وكلها ذات ادراج حجرية عليها درابزين حديد محفور.

لم تشاهد سيارة برينت سنكلير الزرقاء في الموقف امام المنزل، ادركت فجأة انها تترقب مجيء سيارته. قالت لنفسها، انها كالمرأة العجوز التي تتجسس على جيرانها. اليس لديها عمل منتج وحيوي اكثر لتفعله؟

مازال الوقت باكراً لعودة برينت. ولابد ان السيدة غراسيا، مدبرة المنزل، مازالت في الشقة مع بول منتظرة عودة والده. تساءلت ترى كيف هو منزله.

لابد من وجود مفروشات غالية الثمن، لكنها لا تستطيع تخيل شكلها، وهذا ليس شيء غريب، فهي لا تعرف ذوق الرجل.

مع انها، تملك فكرة واضحة عن هذا الرجل بفكرها... شعره الأشقر وعيناه الزرقاوان والذقن المتكبر. مجرد التفكير به يجعل قلبها يتراقص فرحاً.

ابتعدت عن النافذة، ونظرت حولها في الغرفة مبعدة عن فكرها تلك العينين الزرقاوين.

لقدفرشت ورتبت شقتها بنفسها وهي سعيدة وراضية عن النتيجة. فكل شيء رائع، وكل شيء في مكانه. كل ما فيها مريح وجميل. لقد بذلت الكثير من الوقت والطاقة لتحصل على ماتريده، لقد رتبت اللوحات الجميلة فيها، وقامت بتعليق كل ماتريده على الجدران، السلال والمنحوتات الخشبية بطريقة اضافت جمالاً مميزاً على الشقة بأكملها.

كانت تلك الشقة تشعرها بالأمان وهي تحب الدفء والراحة فيها، الإشراق والجمال. ستكون سعيدة هنا في حياتها الجديدة. وواشنطن مدينةمميزة ومثيرة مع كل انواع التسلية الثقافية فيها... المسرحيات، الاوبرا، المحاضرات الثقافية والمباريات... وكل تلك الأشياء التي افتقدتها كثيراً في السنوات الأخيرة.

وضعت شريطاً موسيقياً تحبه وبدأت بتحضير السلطة

بالخس والأفوكادو وجبنة الماعز، تناولتها مع الخبز الأسمر وهي تجلس الى الطاولة الصغيرة.

لكن الأمر المؤسف، انها تتناول طعامها بمفردها... ما قيمة كل ما حاولها بدون ان تتشارك فيه مع أحد؟ فجأة شعرت بالشوق بالعودة الى منزلها الصغير الذي يشبه الكوخ، تتناول الطعام مع اصدقائها... حساء السمك والرز... اي شيء. اشتاقت لوجود اصدقاء بقربها، الضحك والنقاش. انها مشتاقة للاحساس بالمشاركة والتواصل والتعاون.

سيطرت الوحدة عليها وشعرت وكأن صحن السلطة يغطيه ضباب ما أمام عينيها، كانت الألوان تتداخل فيما بينها لتعكس ظلالاً جميلة من اللونين الاخضر والأبيض. غضبت من نفسها، ومسحت عينيها لترى بوضوح. لن تصاب بتوتر عاطفي وتبدأ بالبكاء على شيء لاقيمة له. فعملها هذا سخيف. وهي لن تسمح لنفسها بهذا النوع من الأفكار السخيفة. سيصبح لديها اصدقاء هنا، وستبني حياة جديدة.لكنها بحاجة لبعض الوقت ولبذل بعض المجهود.

رن جرس الهاتف.

سمعت صوتاً يقول:« مرحباً، هذا انا، ماكسي.» تعيش ماكسي في المبنى المجاور، منزل كبير وجميل وهي تعيش فيه مع زوجها وبعض الطيور النادرة وافعى اميركية استوائية. وهي امرأة جميلة جداً وليس شعر احمر فاتح. وهي ترتدي اغرب الثياب التي لم ترى زوو مثلها. وتملك ماكسي مع زوجها محلاً للفنون العالمية المميزة ويقومان بعدة رحلات الى مناطق مختلفة في العالم كل سنة.

قالت ماكسي:« سنقيم حفلتنا السنوية لانتهاء فصل الصيف نهار السبت، واحب كثيراً حضورك.»

شعرت زوو ان روحها تحلق عالياً في السماء، حفلة! وعدد كبير من الناس! ونقاش وحوار! لابد انها فرصة جيدة.

« اه، شكراً لك! يسعدني ذلك. هل تريدين ان احضر معي شيئاً؟»

« لقد حجزت وحضرت لكل شيء. انها حفلة كبيرة، وهناك عدد كبير من الناس، لا اريد الاهتمام بالطعام بنفسي. كيف هي الأحوال معك؟»

« احب المدرسة وكل العاملين فيها، لكنني ما زلت أتأقلم مع الأشياء هنا، مثل وجود العشرات من ذات الصنف من كل شيء في المخازن الكبرى وعرقلة السير الغريبة وتلبية الطلبات على الهاتف.»

ضحكت ماكسي بصوتها العذب وقالت:« ستجدين شريكاً لك في الحفلة. فهناك عدد كبير من المتجولين في العالم وعدد من الأجانب.»

« تبدوحفلة مشوقة. ماذا سأرتدي؟»

«اي شيء ترغبينه. فسيكون هناك اناس ترتدي الجينز والساري والعباءة الطويلة كذلك بدلات مع ربطات عنق، لذلك اي شيء يناسب.»

« جيد، عندما ذكرت حفلة موسيقية تصورت ان علي ارتداء ثوب طويل مع ريش اوما شابه.»

ضحكت ماكسي:« اه، ارجوك، هل تتصورين هكذا ! حسناً اراك نهار السبت، اذاً الى اللقاء عند الساعة الثامنة.»

اعادت السماعة الى مكانها وابتسمت لنفسها. شعرت بأنها

فجأة سعيدة وان كل ذلك اليأس قد رحل. لقد كانت الدعوة كنذير بشر. مما لا شك فيه ان اشياء مثيرة ستحدث معها. اخذت ترقص وهي راجعة لتكمل طعامها.

بعد فترة شعرت انها متوترة كي تقرأ او تراقب التلفزيون. فهي بحاجة لتفعل شيئاً ما. نظرت حولها الى المطبخ الصغير، باحثة عن إلهام ما. عليها ان تنجز فطيرة ما. ستطهو الشوكولا بالبندق وستأخذها معها الى المدرسة غداً وستتركها على طاولة المعلمين، حيث لن تبقى لفترة طويلة.

وجدت انها بحاجة للبيض. حسناً، مازال المتجر على الزاوية مفتوحاً، التقطت حافظة نقودها، واسرعت خارجة من الباب، نزلت الدرج ووصلت الى المدخل. فتحت الباب الرئيسي، ووجد نفسها وجهاً لوجه امام بريتت سنكلير. لا، لم تكن تواجهه، فهو اطول منها، شعرت بقلبها يضطرب وهي ترفع نظرها لترى عيناه الزرقاوين. وفجأة لمعت بفكرها، انه لا بد عائد من عمله. انه يرتدي ذات البدلة التي ارتداها يوم زارها في المكتب، ويحمل بيده حقيبة، وباليد الأخرى المفاتيح.

قال وهو يبتسم:« شكراً لك.»

ادركت انها تحدق به بغباء. فحرصت على ان تبدو اكثر مهابة، فقالت:«كنت خارجة لشراء البيض.» والآن لما تخبره بذلك؟ فليس هناك من سبب لتشرح له عن نفسها.

ظهرت التسلية والمرح في عينيه قال:« اتمنى ان تجدي طلبك، والا مري بي وخذي ما تريدين من عندي. وان فكرت بالأمر جيداً، لماذا لا تأخذين ماتريدينه من عندي وهكذا توفرين عن نفسك مشقة الذهاب؟»

« شكراً لك، لكنني بحاجة الى بعض التمارين واني متأكدة انني سأجد ما أريده في المخزن القريب.» نزلت الدرج المؤدي الى الطريق وسمعت صوت اغلاق الباب الرئيسي. شعرت بقلبها يكاد يتوقف. ما بالها؟ ففي اللحظة التي تراه فيها، حتى تضطرب هكذا. هذا أمر غير طبيعي، اليس كذلك؟ فبعد كل شيء، هذا الرجل لا يعجبها.

* * *

كان برينت يراقبها. شعرت بالغرابة... فهي تكاد تشعر بعينيه عليها وكأنه يلمسها. شربت زوو من كوبها ببطء شديد متظاهرة انها لم تلاحظه. كان يتكلم مع شخص يرتدي عباءة طويلة وامرأة ترتدي زياً بلون السنجاب. نظرت حولها بالحشد الكبير في غرفة الجلوس لماكسي، رأت رجلاً يرتدي عباءة وامرأتين ترتديان الساري مع تنانير طويلة مزركشة. ما تبقى من الموجودين كانوا يرتدون ثياباً عادية، بما فيهم برانت، الذي كان يرتدي بدلة داكنة اللون وقميصاً حريرياً زرقاء وقد فتح ازرارها عند رقبته.

كانت ترتدي فستاناً قصيراً بدون اكمام كانت قد اشترته من روما عندما زارت أمها في هذا الصيف وهي بطريق عودتها الى الولايات المتحدة. كان لونه أسود، لكنها كانت تشعر أنها تبالغ في ارتدائه، لأنها لم ترتدي هذا النوع من الثياب منذ سنين عديدة.

ما ان وصلت الى الحفلة منذ دقائق قليلة، حتى تفاجأت برؤية برينت، بعدان ادركت انه جار لماكسي تماماً مثلها. بعد فترة قصيرة كان يقف بقربها، من الواضح انه ابتعد عمن كان يتكلم معهم، قال:« تبدين وكأنك ضائعة.»

ضحكت وقالت:« أنا لا أعرف أحداً هنا. اعتقد ان علي الدخول والتعريف عن نفسي لشخص يبدو مهتماً بتبادل الحديث.»

نظر حوله في الغرفة وقال:« من برأيك يثير الإهتمام؟»

« الرجل هناك، الشخص الذي كنت تتحدث معه. استطيع ان اتخيله على جمل يسير في الصحراء.»

شرب رشفة من كوبه وقال:« هل تجدين هذه الفكرة رومنطيقية؟»

قالت بتحد وتظاهر انه لم يلاحظ ذلك:« قلت يثير اهتمامي وليس شخص رومانسي.»

قال:« اخشى ان تصابي بخيبة الامل. فهذا الرجل ولد في تكساس. وامضى عدة سنوات في المملكة العربية السعودية مديراً لشركة نفط. والآن يتنقل في هذا الزي. هو لم يتجول في الصحراء على جمل مطلقاً كما وانه ممل.»

تنهدت وقالت:« حسناً، من هو مثير للاهتمام برأيك؟»

قال بلهجة منتصرة:« تلك السيدة هناك، التي تنتعل ذلك الحذاء الطبي.» وابتسم ابتسامة كبيرة وهو ينظر اليها.

شعرت بتأنيب الضمير، فبعد كل شيء لديه حس فكاهي، وهذا أمر مشجع.

« وما المثير فيها؟»

« انها تعمل في تنظيم للمساعدة في السودان وهي في فترة نقاهة.»

نظرت زوو إلى المرأةوقالت:« انت تمزح.» كانت المرأة ضعيفة الجسم رمادية الشعر وعلى الأقل في السبعين من عمرها... ومن النظرة الأولى ، تراهاامرأة عجوز. لكن ان

راقبتها عن كثب، ترى بوضوح انها ليست عجوز اً او متوانية. فهي تملك روح مرحة قوية، تشير بيديها كلما تتكلم. قالت:« تبدو أنها منشغلة الآن، لكن سأذهب واتكلم معها بعد قليل. بالمناسبة، لقد علمت انك عملت في فنزويلا. لدي صديق انتقل مؤخراً الى هناك. هل أعجبتك الإقامة هناك؟»

وراء تلك العينين اللامعتين، لمحت ظلالاً داكنة تتحرك. أم انها تتخيل الأمر.

شعرت بأن صوته اصبح بارداً وهو يقول:« ليس بالتحديد. من اخبرك؟» ليس الموضوع جيداًللنقاش، كما يبدو. شعرت بقلبها يخفق بعصبية.

قالت:« لا احد. انها في ملف بول. لقد ولد في كاراكاس.»

حف صدغه بأصابع طويلة، محاولاً التخفيف من توتره. اوربما ألم ما. او ربما ذلك مجرد عادة.« نعم، بالطبع.»

سألت ببساطة:« كيف هو بول؟ هل تتحدث معه؟»

قال بلهجة كمن فقد صبره:« سيكون بول بخير، سيرى النور في أحد الأيام المقبلة.» وعاد ليشرب من كوبه.

ضربت المرأة التي كانت ترتدي ثوباً بلون السنجاب به عن عمد.قالت وهي تبتسم له ابتسامة كبيرة: «اه، انني آسفة حقاً! اه، اردت ان أخبرك انني وجدت الأمر مسلياً عما قلته عن السياسيين في الأرجنتين... أليس كذلك؟»

ابتعدت زوو وهي تتنهد براحة. فكرت، انها انقذت، وضحكت. حسناً، لقد تعلمت شيئاً عن السيد سنكلير: فهو ليس فقط لا يحب التكلم عن ابنه، بل لا يحب التحدث عن فنزويلا ايضاً. تساءلت ترى ما الذي حدث هناك. و ما الذي حدث لزوجته.

اختلطت مع الموجودين، ضحكت، تحدثت، واصغت، وتناولت بعض الأطعمة النادرة، محاولة ان تتجنب رؤية برينت، الذي، وبسرعة مذهلة، تمكن من التخلص من تلك المرأة ثانية واختلط مع الجميع، ايضاً. تحدثت لفترة مع تلك المرأة العجوز، والتي كانت مثيرة للإهتمام حقاً، فهي مليئة بالمرح وذكية جداً.

سألها برينت بعد ذلك:« اذاً، ما هو رأيك فيها؟»

اجابت:« يعطيني الناس أمثالها أمل كبير في المستقبل واتمنى ان لا أتعب أو أسأم ابداً.»

« هل تقلقين بشأن ذلك؟»

ضحكت وهي تقول:« في الحقيقة، لا.»

وضع كوبه الفارغ على الصينية وسألها بمرح:« وماذا تطلبين من المستقبل؟»

« اه لدي برنامج كامل.» كان هذا صحيحاً وإن لم يكن دقيقاً. لن تخبره بأحلامها الحميمة. تابعت:« اجمالاً، لا اريد ابداً ان اشعر بالملل او اسبب الملل لأحد»

قال وهو يحدق بعينيها:« أنت لست مملة أبداً.»

شعرت وكأن قلبها يقفز من مكانه. ابتسمت له ابتسامة كبيرة واجابت:« شكراً لك. هذا أمر مريح. اتمنى ان استمر هكذا حتى أصبح عجوزة.» وابعدت خصلة من شعرها الى ما وراء اذنها وقالت:« وانت ما هي آمالك في المستقبل؟»

«لا افكر مطلقاً بذلك. هل تردين شراباً آخر؟»

يبدو ان حياته المستقبلية ايضاً ليست موضوعاً للنقاش. لابد ان هناك قائمة بالممنوعات.

«لا، شكراً لك. شربت ما فيه الكفاية.» ووضعت كوبها

الفارغ على اقرب طاولة، محاولة ان تجد شيئاً تقوله لا يثير غضبه. لحسن الحظ، لم يكن هناك من حاجة. اقترب منهما عدد من الحضور واستلموا الحديث مما أعطاها الفرصة لتستمع وتراقب.

مراقبة وجه برينت والاستماع الى صوته جعلها تشعر وكأنها اكثر حيوية وخفة.

كان الوقت متأخراً عندما قررت الرحيل. كانت تشعر بأنها بوضع نفسي مريح. فمعنوياتها مرتفعة، وفي الحقيقة، شعرت وكأنها مليئة بالأمل والإندفاع. ابتسمت لنفسها وهي تنزل الدرج الهادىء لتصل الى الشارع المظلم.

كان الهواء بارداً ومنعشاً فتنفست بعمق رافعة وجهها الى السماء. لترى النجوم والقمر المنير. فضاء لا نهاية له مليء بكل غريب. يجعلك تفكر بالأمل والحب والسعادة.

فالحياة مثيرة ومليئة بالوعود.

تمنت لو انها تستطيع ان تضم هذا الإحساس اليها وان لا تدعه يغادرها مطلقاً.

* * *

خلال الأسبوع التالي لم يظهر بول اي تقدم في دراسته. ولقد رأت زوو برينت مرتين بينما كانا يغادران للعمل. وفي كلتا المرتين كانت تشعر باضطراب في قلبها لدى رؤيته... وهو يرتدي بدلة رسمية للعمل وانيقاً ووسيماً كعادته. وفي كلتا المرتين لم يذكر ابنه.

ورأته مرة ثالثة، لكنه لم يلاحظها. ففي اليوم الذي تلى الحفلة، نهار الاحد، كانت تسير على الطريق عندما شاهدت بول وبرينت في المنتزه، يلعبان الرماية على الصحون

الطائرة. كان يرتدي مثل بول الجينز والقميص القصيرة الأكمام .كان يبدو مختلفاً، يركض، يقفز ويرمي لابنه الطابة بمهارة وفرح. شعرت بعواطف مضطربة وهي تراقبه، وذلك لأنها كانت تفقد السيطرة على افكارها حين تنظر اليه.

كان الأمر مثيراً ومخيفاً في ذات الوقت.

جلست في مكتبها، تنظر الى تقارير الأساتذة عن عمل بول، حاولت التركيز على الصبي وابعاد فكرها عن برينت.

طلبت بول الى مكتبها، لتتحدث معه للمرة الثانية. جلس على الكرسي وقد اخفض رأسه بينما كان يلعب بورقة بين يديه. كان مظهره لا يعدها بأنه سيتحسن او يتغير. وقد أجاب على كل أسئلتها بثلاثة أجوبة لا تتغير:« لا اعرف»، «لا اهتم لذلك»، « انه لأمر سخيف بكل الأحوال.»

لم تكن المرة الأولى التي تواجه ولداً مثل بول لديه هذه السلبية في التعامل، لكنها كانت تشعر بأنها مهتمة به عاطفياً اكثر من عادتها. على برينت ان يعلم ان هناك شيء ما خطأ. عليه ان ينتبه لهذه المشكلة. وعليه ان يهتم حقاً.

ارادت ان تفعل شيئاً، لكن طلب اجتماع ثان مع والده لن يعطي اية نتيجة. عليها ان تفكر بشيء آخر.

شيء آخر... لكن ما هو؟

انها بحاجة لالهام ما، لفكرة، لفرصة، اي شيء.

في اليوم التالي بينما كانت راجعة من المدرسة وجدت بول جالساً في الخارج على الدرج الحجري، ويضع حقيبته بقربه. ابعدها عن الطريق كي تمر.

سألته:« لما أنت جالس هنا؟»

« لقد نسيت المفتاح.»

« واين هي السيدة غراسيا؟»

هزكتفيه وقال:« عليها الذهاب إلى الطبيب او اي مكان آخر. قال ابي انه يمكنني البقاء بمفردي حتى عودته.»

« حسناً، هكذا ادخلك الى الباحة الداخلية. متى سيعود والدك؟»

هز كتفيه وقال:« لا اعرف.» نهض وتبعها الى الباحة الصغيرة، التي يتشاركان بها.

« لما لا تصعد معي الى منزلي وننتظر هناك؟ يمكنك ان تتناول شيئاً وتكتب فروضك.»

هز رأسه وقال:« انني بخير هنا.» وجلس على الأرض ووضع حقيبته على الحائط.

صعدت الدرج الى شقتها وهي تقول:« اذا غيرت رأيك، يمكنك الصعود، اتفقنا؟»

« حسناً.»

لم يصعد اليها. وبعد مرور نصف ساعة نزلت إلى الطابق الارضي وهي تحمل بيدها كوباً من عصير التفاح وبعض الحلوى.

قالت:« اعتقدت انك ترغب بتناول شيء ما.»

ابعد الكتاب الهزلي الذي كان يقرأه ونظر اليها متفاجئاً. اخذ الكوب منها والصحن الصغير وهو يقول:« شكراً.»

« اهلاً بك. متى يعود والدك إلى المنزل عادة؟»

هزكتفيه مرة ثانية وقال:« في اوقات مختلفة.» وتناول قطعة من الحلوى « اه، انها لذيذة.»

«لقد صنعتها بنفسي. وانا مشهورة بصناعة الحلوى على الشوكولا مع جوز الهند في افريقيا كلها.» كان هذا خبر مبالغ فيه، لكنه حصل على اهتمامه.

سألها:« حقاً؟ هل عشت في افريقيا؟»

هزت رأسها وقالت:« في اماكن مختلفة. وآخر مرة كنت في الكاميرون. علمت اللغة الإنكليزية في مدرسة تابعة للسفارة، وكنت مستشارة للفتيات ايضاً.»

غاب الاهتمام من وجهه وقال:« آه.»ونظر ثانية إلى كتابه الهزلي.

لامت نفسها على تصرفها الغبي، صعدت ثانية الى شقتها وتركت الباب مفتوحاً، متمنية ان تسمع خطى اقدام برينت. كان بول في الثانية عشر من عمره، وهو كبير بما فيه الكفاية كي يبقى بمفرده لعدة ساعات إذا اقتضى الأمر.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة والنصف عندما سمعت اصواتاً في الباحة الخارجية. برينت. لم يتأخر كثيراً.

بعد خمس عشر دقيقة سمعت طرقاً على بابها ورأت برينت يقف هناك، كان قدخلع جاكتته وربطة عنقه، وقد رفع كمي قميصه.

اعطاها الكوب والصحن الصغير الذي قدمتهما لبول قبل قليل.

قال وهو يبتسم:« شكراً لك. كان هذا لطف منك.»

كانت يداه سمراوتين وقويتين. قالت:« قلت له أن يصعد لكنه رفض.» حاولت أن لا تتأثر بوسامته، لكن هذا أمر صعب جداً عليها، فقلبها يرقص بجنون.

نظر في عينيها وقال:« لقد اخبرني. احب ان ترافقيني الى العشاء هذه الليلة.»

ضحكت :« لأنني قدمت لبول بعض الحلوى؟»

برم شفتيه وقال:« لا، لأنني اريد ذلك. سيمضي بول عطلة

الأسبوع مع ابن اختي في فيلادلفيا، وسيأتون لأخذه بعد نصف ساعة. ورأيت انها فرصة جيدة ان نتذوق طعام المطعم التاهيتي في آم ستريت وهكذا نتمكن من التعارف اكثر.»

فكرت بحماس مفاجيء، لابد ان الأقدار لصالحي. ربما هذه هي الفرصة التي تنتظرها، فرصة لتكتشف ما الذي يحدث. ربما برينت قد غير رأيه وقرر انه يرغب بالتحدث عن بول. وربما الحديث اثناء تناول العشاء سيكون اسهل من التحدث في مكتبها، وفي مكان هادىء وجو لطيف ستحظى بفرصة اكبر لتفهمه.

سألها:« هل تحبين الطعام الصيني؟»

ابتسمت وقالت:« اه، نعم، احب كثيراً الحرارة والنكهة المميزة.» صمتت وهي تفكر بما قالته.

لمعت عيناه وهو يبتسم.« هل هذه نعم؟»

حاولت ان تبدو هادئة، وان لا تفصح عن افكارها، قالت ببساطة:« نعم، انها كذلك.»

• • •

وقفت أمام خزانتها تفكر بشيء ما ترتديه للسهرة. لم يكن هناك من داع لتكذب على نفسها... فاهتمامها ببول ليس هو السبب الوحيد لقبولها بتناول العشاء مع برينت. فوجودها معه لوحده كاف لكنها كانت مدركة لأحاسيسها المرتبكة. انها مهتمة بهذا الرجل لكنهاايضاً قلقة.

تجهم وجهها. ماذا عليها ان ترتدي؟ لم يكن هناك الكثير من الخيارات أمامها. وبما انها كانت عائدة إلى بلادها كان عليهاان تشتري ثياباً جديدة ومعظمها بدلات وثياب رسمية

ترتديها للعمل وكذلك ثياباً رياضية عادية. انتقت فستاناً عادياً من الحرير متعدد الالوان وله حزام عريض.

انه بألوان الخريف... الاورانج الناري، والأحمر الداكن، والنحاسي اللامع والأصفر الذهبي... الوان تناسب تماماً لون شعرها الكستنائي وعيناها البنيتان، كما قالت لها البائعة في ووديز بحماس واضح.

وضعت الفستان على السرير واخذت تصفف شعرها، ذو الميزة الهامة، فمن السهل عليها تسريحه وفي نفس الوقت يمكنها تركه ينساب على سجيته. كان يتدلى حتى كتفيها وعادة ترفعه كي تبعده عن وجهها، انما الليلة ستتركه على طبيعته.

ارتدت ثوبها، ووضعت قرطين ذهبيين في اذنيها ثم انتعلت حذاءها ذو الكعب العالي. وضعت قليلاً من المكياج ونقطة من العطر وهكذا اصبحت جاهزة.

التقطت حقيبتها وحملت سترة ناعمة لتتقي برد المساء، ونزلت الدرج. خرج برينت من شقته ما ان وصلت الى الباحة. نظر اليها متفحصاً ومن نظرة عينيه علمت انه معجب بما رأى.

قالت:« انني جاهزة.»

سألها:« هل نذهب سيراً؟ فالمكان ليس بعيداً.»

« بالطبع، فالطقس رائع.» تمنت ان تستطيع السير بهذا الحذاء، فهي ليست معتادة على السير بأحذية ذات كعب عال.

لم يكن الظلام قد حل بعد. وشعرت بالغرابة انها تسير جنباً الى جنب مع رجل، وهو غريب بالنسبة لها، والأغرب أن تشعر بهذا الإحساس في حضوره. كان يرتدي بنطالاً بني

وكنزة داكنة اللون مع قميص وربطة عنق، لكن حتى مع ثياب اقل رسمية بدا مؤثراً. فهو يسير بخطى ناعمة وكأنه يتمتع بالسير وهو ليس على عجلة من أمره.

عندما اصبحا في المطعم لم يتحدثا عن بول. تكلما عن عمله في الأرجنتين وعن عملها في افريقيا. فجأة شعرت من الصعب ان تفكر ببول، من بين الأشياء التي ترغب في الحديث عنها.

قال، وهو يبعد صحن الشوربة جانباً:« لماذا عدت الى الولايات المتحدة؟»

« نهضت في صباح احد الأيام ورأيت رسالة محفورة على سقف الغرفة. كتب فيها، عودي الى بلادك! وعيشي حياة طبيعية! وعلامة تعجب.»

رفع حاجبيه قائلاً:« حقاً؟»

ضحكت وقالت:« حسناً، نوعاً ما. ربما لم تكن حقاً على السقف. ربما كانت فقط في مخيلتي، او ان عقلي اللاوعي اعطاني تلك الرسالة.»

نظر اليها للحظة وقال:« اذاً، اردت ان تكوني طبيعية؟»

وضعت ملعقتها جانباً وقالت:« فكرت ان اعطي الأمر فرصة. والحقيقة ان الحياة هنا جميلة ومريحة.»

زم شفتيه قليلاً وقال:« وما الذي دفعك للذهاب الى افريقيا في المرة الاولى؟»

ابتسمت وقالت:« شعرت بالملل من الحياة الجميلة والمريحة. كنت بحاجة الى المغامرة وإلى الإحساس بالتحدي.»

هز رأسه. من الواضح ان ما قالته يستطيع وصفه بالتحديد.

تابعت :« بدأت بالعمل في بيس كوربس، وكانت الحياة هناك مغامرة بالفعل، ومن هناك، انتقلت إلى مكان آخر وقبل ان اعلم امضيت ست سنوات خارج الوطن. انني في التاسعة والعشرين من عمري. واعتقدت انه حان الوقت للعودة ... وللإستقرار، للعمل في وظيفتي هنا، ولكي اعيش حياة عادية.»

قال:« هناك اشخاص ينتهون بقضاء كل عمرهم في بلاد الإغتراب.»

« نعم. لدي صديق امضى سبعة عشر عاماً بعيداً، ولا اعتقد انه سيعود يوماً. كما انني لا اعتقد انه سيتمكن يوماً من التأقلم.»

«هل تجدين الأمر صعباً كي تتأقلمي؟»

ابتسمت وقالت:« بعض الأحيان، نعم، وكثيراً. وخاصة التسوق فهي مشكلة حقيقية. لكنه أمر مهم العودة ثانية. احب الخريف، فالهواء منعش ونظيف، وكأنك تشرب من مياه الربيع. كان الهواء في الكاميرون كثيف ومليء بالضباب، حتى يمكنك ان تمسك به كالصابون.»

نظر في عينيها، ولم يقل شيئاً للحظة.

بعدها قال:« لديك عينان جميلتان. فرحتان ودافئتان. لابد انك فتاة سعيدة.»

ضحكت ، وتراجعت قليلاً:«اه، اعتقد انني كذلك، معظم الأوقات.» كان من السهل التكلم معه. وهي تستمتع برفقته، وكما يبدو انه كذلك.

كان الطعام شهياً. المطعم صغير ومكتظ بالناس، لكنها لم تكن مهتمة لكل من حولها. كل الذي كانت تهتم له هو برينت..

صوته وشعره الاشقر الكثيف الذي ينحسر عن جبينه العريض. وكانت مهتمة بعينيه الزرقاوين.. عينان تجعلانها ترتجف.

اعجبتها طريقة كلامه عن عمله، التي تشمل العلاقات مع الدول التي عمل فيها حيث بنى الجسور، وشق الطرقات وبنى المطارات. كان متفانياً ومسؤولاً، لكنه لا يتحمس لعمل ضمن جدران المكتب، والتي تستلزم منه التفاوض والاتصالات والقيام بالإتفاقيات، ومعظمها مزعجة ومملة، من الواضح أنه رجل عملي، يحب القيام والانغماس بعمله، حاولت ان تتخيله بثياب مليئة بالغبار وهو يقود جيب للعمل.

سألته:« اذاً انت تبحث عن عمل جديد خارج البلاد؟»

« اجل، عندما أجد المشروع المناسب.»

« الا تعتقد انه لأمر جيد ان تستقر، لأجل مصلحة بول؟ على الأقل لمدة سنتين او أكثر؟»

رفع كتفيه قليلاً وقال:« ما زال بول صغيراً، وسيتعلم كيف يكون مرناً، وان يحاول التأقلم في كل الأجواء.» ابتسم قليلاً قبل أن يتابع:« دروس مهمة ليتعلمها في الحياة، الا تعتقدين ذلك؟»

هنا توافقه في رأيه، قالت:« نعم، نعم، بالطبع.» لكنها اضافت :« لكن فقط، يحتاج الانسان لدرس يتعلمه في الوقت المناسب وفي المكان المناسب.» ترددت قبل ان تتابع بنعومة:« الامور لا تسير نحو الأفضل معه، كما تعلم.»

التقت عيناه بعينيها وقال:« افضل ان لا نتحدث عن بول الليلة. هل تقبلين؟»

اذا لم يكن هذا سبب دعوته لها. جزء منها شعر بفرح كبير، بينما جزء آخر اصيب بخيبة أمل كبيرة.

« اعتقدت ربما هذا هو السبب لمرافقتي الى العشاء. لنتحدث عن بول.»

« لا. طلبت منك ذلك لاسباب عادية.»

شعرت بقلبها يطير من صدرها. فأمسكت بكوبها وشربت منه قبل أن تقول:« اه، فهمت.»

سأل، بصوت مسل:« هذا هذا مقبول؟»

ابتسمت وقالت ببساطة:« بالطبع.»

كان ذلك مقبولاً. لكنه ايضاً معقداً. فهل تريد التورط مع رجل لايأخذ مشاكل ابنه على محمل الجد؟

ربما هي تبالغ بالأمر ربما تقفز نحو النتائج. وبعد كل شيء فهناك الكثير من الأمور التي لا تعرفها عنهما او عن علاقتهما ببعضهما. عاودتها تلك الصورة التي رأتها لهما في المنتزه. وحين سمعت صوت برينت يناديه بحماس وتشجيع .

سمعت ضحكهما. من المؤكد، ان علاقتهما تبدو سعيدة بما فيه الكفاية.

حدقت بصحنها. اهم شيء ان تبقى الاتصالات بينهما مفتوحة. وتناولت القليل من طعامها.

شعرت باضطراب كيف يسهل عليها ان تنسى أمر بول عندما تتحدث مع برينت ، كم يسهل عليها ان تفكر بأمور مختلفة وان تشعر بأحاسيس متنوعة، كم يسهل عليها ان لا تفكر ببرينت كوالد، بل ان تراه رجلاً وسيماً وتشعر بالحماس له وكيف يضطرب قلبها بقوة لدى رؤيته.

سألها :« لما أصبحت مستشارة في المدرسة؟»

ضحكت وقالت:« اعتقد هكذا كبرت. لدي أم عظيمة وكانت كل صديقاتي يأتين إلى المنزل ليتحدثن معها عن مشاكلهن وكن يحببن أمي كثيراً.»

شربت رشفة ماء قبل ان تكمل:« كما وانني احب الأولاد. لا اعتقد ان هناك سبباً خفياً لذلك.»

كانت تريد ان تعرف ان كان راغباً في التحدث عن نفسه أمامها، فهي اكتشفت القليل عن حياته الشخصية ما عدا انه ترعرع في مقاطعة مازال والديه يعيشان فيها. وان شقيقته متزوجة، وتعيش الان في فيلادلفيا ولديها طفلين، احدهما صبي من عمر بول. اخبرته ايضاً انها قررت العيش في مدينة بعد ان ترعرعت في ضواحي ماري لاند وان عملها في مدرسة اولمبيا العالمية قدم لها تلك الفرصة.

اخبرته انها فتاة وحيدة، وان والدها قد توفي عندما كانت في السابعة عشر من عمرها وان أمها قد تزوجت ثانية وهي تعيش الان في روما مع زوجها رجل الأعمال الإيطالي.

عادا إلى المنزل سيراً ونسيم الليل يلفهما و رائحة زهور الخريف تحيط بهما. شعرت بحماس غريب. كانت الشوارع مكتظة بالناس، تسير راجعة إلى منازلها بعد تناولها الطعام في المطاعم القريبة او بعد مشاهدة فيلم سينمائي، او انهم يسيرون مع اصدقائهم على الأرصفة.

احبت طريقة العيش في هذا المكان، المحلات التجارية القليلة... المكاتب والمطاعم الصغيرة ومتاجر الفنون والمعارض وكل ذلك الترف.

فتح الباب الامامي ودخلا إلى المبنى.

قالت، وهي تقصد كل كلمة:« شكراً لك على العشاء، لقد استمتعت به كثيراً.»

« وأنا ايضاً.» نظر في عينيها وفجأة شعرت أنه من الصعب عليها ان تتنفس. اتكأعلى الجدار وحدق بها فشعرت باضطراب وكأنها فتاة مراهقة.

قال ببطء:« اعتقد ان هناك شيء ما يحدث بيننا.»

الفصل الثالث

لم تستطع زوو ان تنكر ذلك. شيء ما يجمع بينهما... شيء أساسي لا علاقة له بالمنطق او بسبب ما. كان قلبها يخفق بسرعة وتشعر باضطراب كلي.

اجابت بصوت أجش:« نعم.»

ابتعد عن الحائط وضمها اليه ليقبلها بحنان ودفء.

قالت بصعوبة، متمنية لو تستطيع البقاء قربه كل العمر:«اعتقد من الأفضل أن أصعد، وشكراً لك ثانية على العشاء.» حاولت ان تمشي مرفوعة الرأس على الدرج، لكن كانت قدماها تصطكان.

قال بصوت عميق من ورائها:« عمت مساء، زوو.»

« عمت مساء.»

بعد ان استلقت في فراشها، غير قادرة على النوم. اخذت تفكر ببرينت. انه في الطابق الأسفل، ايضاً في سريره. هل هو يفكر بها، متمنياً لو انه مازال معها.

لايمكنها ان تفكر بذلك. من المحتمل انه جالساً في مكتبه يقرأ بعض التقارير محاولاً دراسة البنية التحتية لإحدى دول العالم الثالث.

وعادت تفكر انه مازال يحلم بها ضربت رأسها بالوسادة. فما بالها؟ لم يحدث لها في حياتها ان شعرت بهذا الإحساس العميق لرجل. وهذا أمر مرعب. فهي لا تدري كيف تتصرف، او ماذا ستفعل. حسناً، هناك شيء عليها القيام به:

www.elromancia.com

المحافظة على سلامة عقلها، وان لاتدع الامور تتطور بسرعة كي تفقد السيطرة. فالعلاقة الحقيقية بحاجة الى الوقت لتنمو فهي ليست في متجر بصدد شراء شيء جميل وبسرعة.

دفنت وجهها بقوة في الوسادة. فالذي تريده هو علاقة دائمة وثابتة. الذي تريده اكثر من اي شيء ان تجد شريك حياتها، شخص تعيش معه الى آخر عمرها. رجل تبني معه حياتها، رجل يكون والداً لأطفالها.

* * *

لم تر أو تسمع شيئاً عن برينت لأيام قليلة مضت، وهذا ما جعلها تشعر بالراحة، مع انها كانت تتوقع ذلك. فلقد اخبرها اثناء العشاء ان لديه اسبوع عمل من الاتصالات الدولية التي تجبره على العمل لساعات متأخرة من الليل في المكتب.

ومع ذلك لم تلمحه مرة يدخل او يخرج، والذي لاحظته فتاة شابة شقراء في المدخل في فترة بعد الظهر تحمل بيدها كيساً ورقياً مليئاً بالأغراض وكانت تملك المفتاح وتحاول الدخول الى شقة سنكلير.

قالت بفرح:« مرحباً.» وابتسمت ابتسامة عريضة. كانت في العشرين من عمرها وتبدو جميلة ومليئة بالحيوية.

قالت زوو:« مرحباً.» وتابعت صعود الدرج، فجأة سمعت صوت شيء ما يسقط على الأرض. نظرت إلى الأسفل. وجدت الفتاة قد اسقطت الكيس وتبعثرت المحتويات على الأرض.

عادت زوو اليها. وقالت:« دعيني اساعدك.»

«آه، شكراً لك. ذلك المفتاح لم يفتح.» ضحكت وتابعت:« لا بد أنني غبية.»

لم تكن تبدو غبية. فجسدها نحيل ورياضي ورشيقة جداً كانت ترتدي بنطال جينز ضيق وقميصاً جميلة كتب عليها.«جامعة جورج تاون.»

اعادت زوو الأغراض إلى الكيس، علب من المعكرونة والجبن، بيتزا مثلجة، ورزمة من المقانق. تمكنت الفتاة من فتح الباب فاعطتها زوو الكيس.

« شكراً لك. هل تسكنين في الطابق العلوي؟»

« نعم، انا زوو لانغدون.»

قالت وابتسامتها تشع بالفرح والبساطة:« اسمي كريستين مايرز، اراك لاحقاً!»

صعدت زوو إلى شقتها وهي تتساءل من تكون كريستين. رغم ان ذلك لايعنيها. وان فكرت بالأمر، فهي لم تر السيدة غراسيا مؤخراً. هل توقفت عن العمل لدى عائلة سنكلير؟ وقفت زوو امام نافذتها ونظرت إلى الشارع، تراقب بول. كان يحمل حقيبته على كتفه. وقد اسقط رأسه على صدره واخذ يدفع بحذائه حجر عبر الرصيف. لقد تم ابقاؤه في المدرسة بعد ظهر ذلك اليوم ليكتب فرضه، الذي لم يفعله يوم أمس.

ربما كانت كريستين شقيقة، او معلمة، او شيء من هذا القبيل. وربما قد تكون صديقة برينت. قالت بصوت عال:«اه كفى!» فليس هذا من شأنها وهي لا تهتم للأمر.

لكن بسرها كانت تهتم، وبقيت تنتظر برينت كي يتصل او يدق على بابها، على الرغم من كل ذلك العمل الذي يبقيه لساعة متأخرة كل ليلة.

ابتعدت عن النافذة. شيء ما يحدث لها وهذا ما لايعجبها. فهي لا تريد هذا الاحساس. وهي لاتريد ان تستمر صورته

في مخيلتها، لا تريد ان تسمع كلماته تدور في بالها تكراراً وتكراراً.

« اعتقد ان شيئاً ما يحدث بيننا.»

لن تجلس بقرب الهاتف كالمراهقة منتظرة ان يتصل برينت بها. ان كان هو مشغولاً فهي ايضاً كذلك، او بإمكانها ان تشغل نفسها. عليها ان تفعل شيئاً بالنسبة إلى حياتها الإجتماعية، وان تقيم لها صداقات.

بدأت تطهو الطعام وتدعو المعلمين والمعلمات إلى العشاء. وسجلت نفسها في الجامعة لتأخذ دروساً مسائية. وذهبت مع ماكسي إلى احتفال هندي مساء ليلة الجمعة.

كتبت الرسائل إلى اصدقائها، واتصلت بأمها في ايطاليا، وسارت لمسافات طويلة وقرأت كتاباً كبيراً او حاولت قرأته:

لاشيء من كل هذا ساعدها. كان فكرها مصمماً ان يبقى مشغولاً ببرينت بكلامه، وبابتسامته.

* * *

بدأت أوراق الشجر تتحول الى ألوان ذهبية متماوجة من الأصفر والأحمر ومتناسقة مع جذوع أشجار السنديان البنية. في صباح كان الهواء بارداً ومنعشاً وقد شعرت زوو وكأنه هدية من السماء. كانت تذهب سيراً إلى المدرسة و تشعر بنفسها خفيفة كالهواء فتبتسم للعالم كله. اه، كم هو رائع الخريف.

وصلتها تقارير الاسابيع الاولى، ووجدت ان علامات بول لاتزال غير مقبولة. تنهدت بيأس، وارسلت ملاحظة إلى المنزل معه تطلب فيها اجتماعاً آخر مع برينت. اتصل بها

هاتفياً ذلك المساء وما ان سمعت صوته حتى اضطربت بشكل لم تصدقه.

قالت:« مرحباً، كيف هي اعمالك؟»

« مميتة، لكنني انتهيت منها الان. لقد استلمت ملاحظتك.» وشعرت ان لهجته تغيرت وهو يتابع:« لا وقت لدي لأذهب إلى المدرسة عند الصباح، وبصراحة لا اعتقد ان اجتماع مع المدرسة سيغير اي شيء.» لم تعد تشعر بكل ذلك الفرح بل سيطر عليها غضب مفاجيء.

قالت:« هل رأيت تقرير العلامات؟»

« نعم.»

« يعاني بول من مشكلة، برينت. وانت والده. الا تعتقد ان عليك القيام بعمل ما؟»

« لا اعتقد ان اجتماع بيننا سيحل له اية مشكلة.»

لا، ان لم يكن راغباً في التعاون، ولا ان لم يرغب بمساعدة أحد، قالت:« اذاً ستقف جانباً وتدعه يفشل؟ الا تفهم ان تصرفه هذا وكأنه يطلب من أحد المساعدة؟»

قال وقد فقد صبره:« اسمعي، سأصعد اليك ونتحدث عن الأمر الان اذا اردت، لكنني لا استطيع القيام بذلك على الهاتف وهو في الغرفة المجاورة.»

« اذاً احضر الى مكتبي نهار الغد.»

قال بانزعاج:« الى مكتبك او الى شقتك، أين هو الفرق؟» هناك فرق كبير، لكنها لا تريد النقاش عن الوقت والمكان. على كل حال، هي سعيدة لأنها حظت بفرصة لتتحدث معه عن بول.

لذلك وافقت، واسرعت إلى غرفة نومها، نظرت إلى نفسها

في المرآة وتمتمت من مظهر بنطالها الجينز الباهت اللون وقميصها الناعمة. مررت قلم احمر الشفاه على شفتيها، وسرحت شعرها عندما سمعت طرقاً على الباب. كان يرتدي الجينز وقميصاً قطنية، فشعرت بقلبها يضطرب برؤيته بثياب عادية فهو يبدو رياضياً قوياً جداً واكثر وسامة.

طلبت منه الجلوس واخذت تسكب القهوة ويديها ترتجفان. جلست قبالته، مدركةان عليها ان تركز على بول وليس على برينت. رشفت رشفة كبيرة من القهوة وقالت:«ماذا قال بول عن نتائجه؟»

لوح بيده بطريقة عدم اكتراث وقال:« ان هذه المدرسة سخيفة وانه يريد العودة إلى مدرسته القديمة في بونس أيريس. فقلت له ان هذا الموضوع بعيد عن السؤال حتى.»

حركت فنجانها وقالت:« ماذا قلت لبول عن نتائجه، بالتحديد؟»

« وماذا تعتقدين انني قلت له؟ قلت له ان هذا شيء معيب وانني اتوقع الافضل من ابني. لقد احضرت له معلمة، لكن من الواضح ان هذا لم يحل المشكلة.»

اه كريستين. لم تستطع ان تمنع نفسها من الشعور بالراحة.

قالت بهدوء:« المشكلة انه ليس بحاجة لمن يساعده بواجباته المدرسية، فهو يعرفها كلها. لكنه لا يفعل. انه يرفض القيام بواجباته بصورة آلية وهذا الرفض هو عارض مشكلة.» تصورت بول في مخيلتها على كرسيه، منحني الرأس، ويمزق ورقة بين يديه. تابعت :« شيء ما يزعجه. انه ليس سعيداً وغير مرتاح.»

ضحك بحدة وقال:« انه في الثانية عشر من عمره. وبدأ يعاني من مرحلة المراهقة والنضوج. بالطبع هو ليس سعيداً. فالعالم مكان مرعب للعيش فيه. لا أحد يفهمه. لسوء الحظ، هذا هو الوجه الذي عليه التعامل معه مثل كل سكان الارض. عليه ان ينضج. عليه ان يتعلم كيف يتأقلم وان يتوافق مع التغيرات وتقبل الواقع.» تنهد قبل ان يضيف:« لا نستطيع العودة إلى الأرجنتين. فليس هناك ما نستطيع القيام به غير الإستمرار.»

قالت:« انتقالك إلى هنا تغيير كبير في حياته وليس من السهل التأقلم مع تغيير كبير كهذا.»

نظر إليها وقال على مهل:« اه، أعلم. صدقيني، أعلم.» كان هناك شيء غريب وهو يقول هذا، وكأن في أعماق عينيه لمحت ظلالاً داكنة تحت تلك العينين الزرقاوين.

هل لهذا علاقة بزوجته، بوالدة بول؟ لكنها نظرت في كل التقارير التي وصلتها من مدرسة بول في الأرجنتين ولم يكن هناك اي ذكر عن أمه... حتى ولا اسمها، لا عنوان لديها، لا شيء.

قالت بلطف:« اذا كنت تعلم، اذاً لديك القدرة على مساعدته ليتعامل معها.»

عقد يديه على صدره وقال:« انني احاول. نحن نتبادل الحديث لفترات طويلة واقول له انه من المهم له ان لا يستسلم لهذه العواطف، وان لا يعتمد عليها، وهذا ما يفعله.نتنزه ونأكل كمية كبيرة من البوظة وانا احاول ان اشرح له ان المهم هو الحاضر والمستقبل واننا بحاجة للشجاعة كي نتقدم من غير ان نعود إلى الماضي.»

« يبدو الأمر سهلاً، لكن يتطلب الامر مجهوداً كي تطلب من

ولد في الثانية عشر ان يفعل ذلك. ربما قد يساعده الاعتراف بهذه العواطف بدلاًمن القول له ان عليه التخلص منها. لديه الحق بهذه العواطف، كما تعلم. انه ليس يائساً، لأنها تمثل الفرح لديه.»

شعرت بأنه اشتعل غضباً وهو يقول:« انه ليس يائساً. لقد عملت بصورة متواصلة مؤخراً، لكن الاعمال تسير نحو الأفضل وسأمضي المزيد من الوقت معه.»

هزت رأسها وقالت:« هذا خبر جيد.»

وقف واخذ يتجول في الغرفة حتى وصل امام لوحة زيتية لمنظر في سوق افريقي.

بعد لحظة استدار ونظر حوله، قبل ان يقول:« لديك بيت جميل، شخصي جداً، ومريح جداً.»

خف التوتر القائم، وتغير الجو بسرعة، وقالت:« شكراً لك. هل تريد ان تشرب عصيراً ما؟ لدي عدة انواع من عصير الفاكهة.»

« اي شيء تريدينه، وشكراً.»

ذهبت الى المطبخ فلحق بها. وعندما اخذت الوعاء من البراد، امسكه منها ليضعه على الطاولة. وضع يده على كتفيها ونظر إلى عينيها فبدأ قلبها يخفق بسرعة.

قال وهو يبتسم ابتسامة ساخرة:« كنت اتمنى لو أنك فقط جارتي التي تسكن فوق منزلي.»

لم تبعد نظرها عنه وهي تقول:« نعم، لكنني لست كذلك.» فهي مستشارة مدرسة ابنه ولا يعجبها ابداً طريقة تعامله مع مشكلة ابنه.

« لا، انت لست كذلك. لكن هل نستطيع الان ان نتظاهر انك كذلك؟»

جزء منها قال، نعم، جزء آخر قال، لا. فالتظاهر أمر خطير. هزت رأسها وقالت بصعوبة:« انني آسفة. لا استطيع التظاهر.» وابتعدت عنه لتحضر كوباً من الخزانة.

« أنت غاضبة.»

« انني اشعر بالإحباط.»

« لماذا؟ لماذا يعنيك بول بهذا القدر؟ لابد ان هناك عدد كبير من المشاكل الخطيرة ويعانون منها تلاميذك بشكل كبير. كالأهل المطلقين، او عديمو المسؤولية، مهما يكن.»

تنهدت، فهو يقول الحقيقة، دفعت شعرها إلى الوراء وقالت:« انني اشعر بالإحباط لأنني اعلم ان بول ليس سعيداً ولا اعتقد ان موقفك ايجابي بشأنه.»

كرر قولها بلهجة محذرة:« لا تعتقدين ان موقفي ايجابي؟»

نظرت مباشرة في عينيه وقالت:« صحيح، فأنت تبدو عادياً جداً وتأخذ الأمر ببساطة مطلقة.»

ساد الصمت الثقيل. اخذ يراقبها بغضب، فشعرت وكأنها ترتجف.

قال ببطء:« هل أنت تقولين، انني لا اهتم بإبني الوحيد؟»

بدأ قلبها يضرب بعنف، قالت:« لا، ليس هذا ما قلته. ما أحاول قوله انك تعطيني انطباعاً انك لا تأخذ حزنه على محمل الجد. وانت تعتقد ان كل ما عليه القيام به ان يصبح قوياً.»

قال بهدوء:« انها حياة صعبة.» وبدا متوتر جداً.

« هي كذلك. لكن قليل من الحب والإهتمام والتفهم سيساعدانه.»

ضحك بسخرية.« انت تعرفين كل شيء، اليس كذلك، ايتها المستشارة؟»

استدار خارجاً وهو يقول:« شكراً لك.»

تمتمت:« اه، تباً. هذا أمر سيء.»

* * *

بعد مرور يومين وبينما كانت تطهو عشاءها سمعت طرقاً على الباب. عندما فتحته وجدت بول وملامح جدية تظهر على وجهه.

قال:« يمكنك ان تقولي لا.»

اجابت، محاولة ان لا تضحك:« حسناً، اقول لا بشأن ماذا؟»

« علي مشاهدة برنامج على التلفزيون للقيام بمشروع مدرسي. انه عن الحيوانات والبيئة وكيفية المحافظة عليهما. علي الكتابة عن كل هذا لمادة العلوم الإجتماعية، لا استطيع القيام بذلك في المنزل لأن كريستين كَسرت جهاز التلفزيون لدينا.» تنهد بعمق قبل ان يتابع:« انها غبية جداً.»

قالت بسرعة وبصراحة:« يمكنك ان تشاهده هنا.» كي تخلصه من المهمة الصعبة ان يطلب منها ذلك.

بدا وكأنه مرتاح جداً، قال:« شكراً لك. انه في الثامنة مساء. سأتدبر أمر عشائي وسأعود عند الثامنة.»

« الن تطهو كريستين عشاءك؟»

« لم تستطع القدوم اليوم.»

« وماذا عن والدك؟ الن يأتي للعشاء؟»

« سيتأخر الليلة. سأترك له ورقة اخبره فيها انني هنا.»

« اذاً ماذا ستطهو لنفسك على العشاء؟»

هز كتفيه وقال:« سأتناول شيئاً ما.»

« انني أحضر الدجاج والرز، على الطريقة الصينية. هل تحب الطعام الصيني. فها نحن نملك فرصة لحل الأمور.»

لمعت عيناه بالفرح وقال:« نعم.»

قالت ببساطة:« ما رأيك بتناول العشاء معي وتسليتي؟» رأت التردد على وجهه، والرغبة ايضاً.

قال:« حقا؟»

« لما لا؟ فأنا وحيدة ولا أشعر بالفرح عندما اتناول الطعام بمفردي.»

« حسناً، سأترك ورقة لوالدي واغلق الباب. سأعود على الفور.»

استدار وغادر بسرعة جعلتها تجفل ان يتعرض لكسر في عظامه او جروح.

عاد بسرعة قصوى، يحمل بيده دفتراً للملاحظات وقلماً. هذا الإهتمام المفاجيء بالعمل المدرسي ادهشها، لكنها قررت عدم ذكر ذلك.

انه يتحدث معها بطلاقة، وهي لا تريد افساد الأمر الان. شعرت بحماس مفاجيء. ربما تستطيع الحصول على ثقته.

قال وهو يسير نحو غرفة الجلوس:« اه، رائعة! لديك مجموعة مهمة من الاشياء!»

قالت، وهي تسير نحو المطبخ:« هيا، انظر إلى ما تريده.» لحق بها بعد فترة قصيرة.

قال:« ذلك الطبل جميل جداً. هل هو من افريقيا؟»

اومأت بالإيجاب وهي تحرك الدجاج.

سأل بحماس:« هل رأيت العديد من الحيوانات المفترسة هناك؟»

«رأيت ذلك في تنزانيا.» واخبرته عن مغامراتها في سرنجتي فأصغى باهتمام كبير. ابتسمت له وقالت:« ربما قد ترى هذه الحيوانات في عالم الحيوانات الليلة.»

قال وهو يراقبها تحرك الدجاج والخضار:« نعم، طعام كريستين مقرف فكل الذي تستطيع طهوه هو المقانق والمعكرونة ووضع الجبنة على البيتزا الجاهزة.»

لم تكن تتوقع مثل هذا الكلام من ولد في الثانية عشرة من عمره. فالأولاد تحب عادة هذا النوع من الطعام، قالت:« انت تفضل طبخ السيدة غراسيا؟»

« نعم، وهي لا تزال تطبخ لنا معظم الاوقات. فلقد اصبحت تأتي في الصباح. وكما تعلمين، انا وابي نسخنها او نتبع تعليماتها، لكن عندما يتأخر والدي في عمله تحضر شيئاً لنا.»

سألت زوو:« واي نوع من الطعام تفضل.»

« اي شيء مع الرز، والسمك، واشياء مختلفة، كما تعلمين؟»

اطفأت الفرن وقالت:« نعم، اعلم. لقد انتهيت، لنأكل.»

شعرت بفرح وهي تراقبه يأكل بشهية، قال وهو يأكل:«يسعدني ان كريستين لم تأت اليوم. فانا اكرهها.»

« هذا أمر مؤسف.»

قال بغضب واضح:« انها تتصرف وكأنها أمي.»

« ربما هي تحبك.»

ظهرت على وجهه تعابير ممزوجة بالسخرية والإشمئزاز، قال:« هاه! انها تحب والدي، فهو من تحب.»

قالت زوو بحذر:« لابد ان هذا قاس عليك.»

« من المفترض ان تساعدني في اعمالي المدرسية وهي تصحح لي طريقة كلامي. كنت مرة أقول انني تركت شيئاً في قفص السيارة فقالت:« في هذا البلد نقول صندوق السيارة

وليس قفص.» ضحك وهو يقلدها وتابع:« والبارحة قلت لها ان جرمي اوصلني إلى حفلة عيد ميلاد فقالت:« تقول اقلني وليس اوصلني.» قال ذلك بلهجة وكأنها كريستين تتكلم مما جعل زوو تعض على شفتها كي لا تضحك.

قالت:« اعتقد ان هذا يزعجك.»

« نعم! ولكن من يهتم بما تقول؟ بكل الأحوال، فالأولاد في المدرسة يتحدثون بكل الطرق. فهم قادمون من كل انحاء الارض ونحن نفهم بعضنا جيداً معظم الاوقات.» نظر اليها وتذكر فجأة شيءما فتابع بهدوء:« حسناً، اعتقد انك تعرفين ذلك.»

لقد تذكر انه يتحدث مع مستشارة المدرسة، ذات المرأة التي لم يرد على اي من اسئلتها في المكتب.

لكن هذا ليس مكتباً في المدرسة. هذه هي شقتها وهو يجلس معها ويتناول العشاء. كان واضحاً جداً لها انها ستخطىء ان ذكرت اي شيء له علاقة بالمدرسة.

قدمت له البوظة كحلوى، والتي تقبلها وكأنها هدية. وعندما انتهى العشاء، حمل الاطباق إلى المغسلة ووضعهم في آلة التنظيف الكهربائية، وهذا ما ادهشها.

قال بتهذيب وهو يبتسم:« شكراً لك على العشاء، كان حقاً شهياً.»

شعرت وكأنها ترغب بضمه اليها، لكنها علمت ان عليها ألا تظهر له اية عاطفة. فهناك شيء لطيف وناعم بهذا الولد، شيء يجعل قلبها يحن اليه. كان من الصعب عليها ان تصدق انه ذات الولدالذي لم يفتح فمه في مكتبها.

سأل، بلهجة وكأنه يرغب بمرافقتها:« هل ستشاهدين

البرنامج معي؟» وهكذا جلسا يراقبان البرنامج معاً، وشعرت بفرح غريب وهي تراقب ردة فعله. من الواضح ان يهتم جداً للحيوانات، وخاصة البرية والتي تعيش حياة مختلفة. كاد البرنامج ان ينتهي عندما سمعا طرقاً على الباب. كان ذلك برينت، من ملامح وجهه عرفت انه غير سعيد.

« هل بول هنا؟»

هزت رأسها وقالت:« انه يراقب برنامج خاص على التلفزيون. وعلى وشك الإنتهاء. ادخل.»

هز رأسه وقال بحدة:« لا ، شكراً. اعتذر عن ابني لقد احتجزك طوال السهرة.»

قال:« لقد استمتعت برفقته، فلا تقلق بشأن ذلك.»

ظهر الضيق على وجهه اكثر وقال:« ما كان عليه ان يزعجك. فلديه تعليمات واضحة ان يتصل بجديه اذا استجد شيء ما. سيسعدان بالقدوم واخذه إلى منزلهما.»

رفعت زوو كتفيها وقالت:« لقد أتى هنا وكان مرتاحاً جداً. فنحن جيران.»

« لايحق له التصرف هكذا. سأتحدث معه. ولن يحدث ذلك ثانية.»

حدقت به، وهي تشعر بغضب مخيف وسمعت نفسها تقول:«لاتجرؤ، لاتجرؤ وتقول له ان لا يأتي إلى هنا اذا احتاج إلى مساعدة!» لم يكن لديها اية فكرة عما دفعها لقول هذا الكلام. شعرت باضطراب في قلبها فشدت على قبضتها وكأنها جاهزة لمعركة ما.

نظر اليها وقد ضاقت عيناه وقال ببطء وكراهية:« هل تقولين لي كيف علي ان اربي ولدي؟»

نظرت مباشرة إلى عينيه الباردتين، وهي ترتجف، قالت:«انني اقول لك انني ارحب دائماً ببول هنا وفي اي وقت، مهما كانت الأسباب.» رفضت ان تستسلم لعداوته، فتابعت:«ان كان لديك أي احساس منطقي، كأب وشخص وحيد مسؤول عن ابنك، ستكون ممتناً لهذا العرض.»

قال بصوت منخفض ولاذع:« وانت متخصصة بحالات الاطفال الذين يهتمون بهم اباءهم بمفردهم. حسناً، لا اريد نصيحتك، انسة لا نغدون.»

كانت غاضبة جداً، حتى كادت ان تضربه. فما مشكلة هذا الرجل؟ خانتها الكلمات حين ظهر بول بجانبها عند الباب. كانت عيناه تلمعان من الفرح وكله نشاط.

« اهلاً، ابي!هل قرأت ملاحظتي؟»

عاد وجه برينت هادئاً فجأة وقال:« نعم، فعلت، هل انتهى البرنامج؟»

قال بول بصوت مليء بالحماس:« نعم.وكان كله عن الأفيال والتماسيح والقرود!» نظر برينت إلى وجه ولده ، ورأت زوو انه لم يعد هناك اي غضب او برودة في عينيه.

« لقد اعجبك، هذا واضح.»

« نعم! انه حقاً رائع، ابي! كان عليك ان تشاهده!»

وضع يده على كتف ابنه وقال:« انني آسف، لنذهب الى المنزل ويمكنك اخباري عنه.»

استدار بول نحو زوو وقال بتهذيب:« حسناً، شكراً لك كثيراً على استقبالك انسة لانغدون.»

ابتسمت له، وسيطرت على نفسها كي لا تلامس شعره بحنان وقالت:« في اي وقت.» مر أمام والده واسرع على

الدرج. تبعه برينت بعد ان تمنى لها ليلة سعيدة بتهذيب وببرودة.

بقيت كلماته تتردد في اذنيها تزعجها:« وانت متخصصة بحالات الاطفال الذين يهتمون بهم اباءهم بمفردهم؟» لقد بذلت مجهوداً كي لا تصفع الباب وراءه. لقد شدت على اسنانها حتى آلمتها.

ذلك الرجل لا يحتمل! وهل لا تستطيع تحمل كبرياءه.

في اليوم التالي، بعد ان وصلت إلى المنزل من المدرسة، وصلتها باقة من الورد الأبيض. وضعتها على الطاولة، وجلست تقرأ البطاقة الموجودة عليها.

«كان عرضك ليلة البارحة كريماً جداً وليس هناك اي عذر لتصرفي. ارجوك اقبلي اعتذاري.»

قرأتها عدة مرات، وشعرت بارتباك في عواطفها. لقد امضت النهار بطوله وهي تحاول ان تهدىء من غضبها. والان ماذا عليها ان تفعل؟

عليها ان تقوم بالعمل المناسب والصحيح من اجل السلام بينهما. نظرت إلى الورود. انهاجميلة، وتذكرت عشاءهما معاً والحنان الذي احست به عند فراقهما والان... هذا العداء الكبير بينهما بسبب بول. تنهدت بقوة ودفنت وجهها بين يديها.

عليها ان تقوم بعمل لطيف وتشكره على الزهور. بعد ان تناولت العشاء بمفردها نزلت الدرج وطرقت على باب شقته. شعرت بانزعاج كبير لاضطراب قلبها. تنفست بعمق، وهي تسمع خطوات تقترب من الباب. فتح الباب. ورأت برينت امامها. كان يرتدي قميصاً بدون ربطة عنق وقد رفع كميه.

قالت:« اتيت لأشكرك على الزهور.» واضافت بسرعة:«واعتذارك مقبول.»

التقت عيناهما وقال:« شكراً لك.» اشار إلى الغرفة وتابع:«ارجوك ادخلي، لنتناول فنجان قهوة.» ترددت لفترة كافية حتى يمسك بيدها ويشدها إلى الداخل. اغلق الباب وراءها، تاركاً يدها.

رفعت حاجبيها متسائلة:« انت لا تقبل بلا كجواب.»

قال بنعومة:« لم تقولي لا.»

قالت كريستين بصوتها الناعم:« حسناً، سأرحل الان.» رأت زوو فتوقفت لتقول وهناك تحذير في عينيها:« اه، مرحباً.»

قالت زوو:« مرحباً، كريستين.» ورأتها ترتدي تنورة قصيرة وقميصاً مكشوفة الصدر.

رفع برينت حاجبه وقال:« هل تقابلتما من قبل؟»

قالت كريستين:« نعم، امام المدخل في احد الأيام.» نظرت الى برينت وابتسمت له ابتسامة واسعة وقالت:« حسناً، اراك غداً.» فتحت الباب وتابعت: « مساء سعيد.»

سأل برينت:« ما رأيك بفنجان قهوة؟»

« احب ذلك.»

«اجلسي، سأعود فوراً.»

نظرت حولها في غرفة الجلوس، بفضول ودهشة. لم يكن هناك الكثير لتتفحصه... بعض المفروشات الاساسية، الكتب والجرائد ملقاة بجانب الحائط. لم تعطها الغرفة اي انطباع شخصي وكأنها في قاعة المحطة. لم تجد سجادة على الأرض، لا ثياب في الزاوية، ولا لوحة على الجدار، لا شيء يوحي بشخصية القاطنين في هذا المنزل.

www.elromancia.com

كان برينت سنكلير شخص ذو خبرة عالية ولقد سافر إلى أماكن كثيرة لكن هذا المكان لا يعكس ذلك. توقعت ان ترى شيئاً مختلفاً تماماً.. مفروشات باهظة الثمن، لوحات مميزة ونادرة، قطع سجاد رائعة على أرض خشبية... وليس هذا المكان البارد العاري.

بعدها تذكرت، انه ربما يعكس شخصية القاطنين فيه، عملي وبارد. ارتجفت، لكنها تذكرت ليلة التي خرجت معه لتناول العشاء، الحوار اللطيف وقبلته. لا يعقل ان يكون برينت رجلاً بارداً. فعندما تتحدث معه، تلاحظكم هو عاطفي ويهتم للغير.

اعادت انتباهها الى مجموعة من الكتب على الطاولة. ربما مفروشاته وكل ما لديه لم يصل بعد من الأرجنتين. فقد يستغرق الأمر شهوراً، خاصة إذا أرسلت إلى مكان آخر اولاً، بظروف غامضة.

عاد إلى الغرفة، حاملاً بيده صينية وضعها على الطاولة. قدم لها فنجاناً وقال:« بامكانك اضافة السكر اذا رغبت.» وأخذ فنجانه ليجلس بعيداً عنها.

اضافت زوو السكر إلى الفنجان وحركته، نظرت حولها إلى الغرفة وقالت بنعومة:« يبدو ان حاجاتك لا تزال في بلاد الإغتراب.»

«لقد وصلت منذ اسابيع قليلة لكنني وضعتها في المخزن. نحن هنا بصورة مؤقتة. وهذا المكان لصديق لي وهو يناسبنا في الوقت الحالي.»

« هل تخطط للرحيل قريباً؟»

«لم أعلم بعد. قد يتطلب الأمر شهوراً او سنة.» تجهم وجهه

قليلاً وهو ينظر حوله ويتابع:« اعتقد ان علي القيام بشيء ما، واحضر بعض الحاجات إلى هنا. فقط قطعة سجاد او اثنتين وبعض اللوحات على الجدران ستجعل المكان مختلفاً جداً.»

وقف بول عند الباب وقال:« ابي؟ اه، مرحباً، انسة لانغدون.» اعاد نظره الى ابيه وتابع:« هل رحلت كريستين؟»

« نعم.»

« خبر جيد.»

قال برينت بحدة:« بول!»

رد بسرعة:« انا اكرهها، وانت تعلم ذلك!»

ظهر الضيق على وجه برينت لعدم رضاه عن ابنه، قال:« لا يعقل ان تتكلم عن الناس بهذه الطريقة.»

« حسناً، انا لا احبها! وأريدها ان ترحل!»

ظهرت تعابير واضحة تنذر بالحذر على وجه برينت وقال:« سنتحدث عن ذلك فيما بعد، بول. فالوقت ليس مناسباً الان.»

من الواضح ان بول يعلم حدوده تماماً، هز رأسه بعناد، لكنه استدار وغادر الغرفة.

قال برينت:« اسف لما حدث، كما تعلمين، محاولتي لانجاح عمله المدرسي لا تسير على ما يرام. لكن الآن دعينا نتحدث عن شيء آخر، مثلاً، هل تحبين الطعام اللبناني؟»

اخذت تتصارع مع نفسها. هل ستقيم علاقة شخصية مع هذا الرجل بينما علاقاتها المهنية معه كارثة بكل معنى الكلمة؟ انها تبحث عن المشاكل، اليس كذلك؟ فهي لا تستطيع ان تقسم نفسها إلى شخصين مستقلين عن بعضهما. فالأمور لا تسير على هذا النحو.

www.elromancia.com

شدت على يديها. فكلما تحول النقاش إلى بول، يسود التوتر والخلاف بينهما. لكن ان قررت ان تبقى على حدود عملها معه منذ الآن، فقد لاتجد ابداً المشكلة الاساسية. بينما كلما ازدادت تعرفاً ببرينت، تحظى بفرصة اكبر لمساعدة بول.

هل هي تفكر بمنطق؟ أم انها تجد مجرد عذر لتخرج برفقة برينت ثانية؟

ارادت ان تساعد. فلسبب لا تعرفه لديها احساس خاص لابن برينت. انها ترغب بمساعدة بول لتبعد عنه نظرات الحزن من عينيه.

قالت :« احب الطعام اللبناني.»

• • •

انها حقاً تحب الطعام اللبناني. تحب الجلوس مع برينت في مطعم صغير، تستمع الى صوته، وتراقب تعابير وجهه.

كانت المنطقة المجاورة للمبنى مركز مميز للمطاعم الصغيرة والمختلفة. فخلال اسابيع قليلة تذوقا الطعام الإيراني والكامبودي والكاريبان. كانا يتحدثان عن أشياء كثيرة، لكن لم يذكرا مرة مدرسة بول او حياته. وعندما كانا يعودان إلى المنزل كانا يفترقان على أمل لقاء آخر.

كانت تعلم انها تقع في غرامه. كانت تجلس ساعات في الليل، تفكر به، لكن كانت دائماً يترآى في مخيلتها وجهاً آخرويترآى لها وجه بول. وكلما فكرت ببول كانت تسمع اجراس الحذر تقرع، واحساس من اليأس يسيطر عليها بقوة.

• • •

في بعد ظهر يوم ما صعد بول إلى شقتها وسألها ان كانت تستطيع قراءة تقريره عن حماية الحيوانات.

قالت، وهي تغلق الباب وراءه:« اعتقدت انك قدمت هذا المشروع منذ اسابيع عدة.»

«لدينا شهر كامل لتقديمه. انه مشروع كبير. علينا رسم خرائط واستعمال الصور ووضع احصائيات دقيقة وكل شيء. لقد انتهيت الان منه، لكنني اردت ان تقرأي الجزء المكتوب منه. لأعرف رأيك، ولكي تصححي لي الاخطاء الاملائية.»

سألت:« الم تحضر اليوم كريستين؟»

ظهر الضيق على وجهه:« انها هناك، لكنني انتهيت من واجباتي الاخرى قلت لها انني اريد رؤيتك ... طلباً للمساعدة لأنك كنت في افريقيا.» لمعت عيناه وهو يتابع:« وهي لا تعرف شيئاً عن الحياة هناك، بكل الاحوال... قالت انني استطيع القدوم.»

اراد المجيء اليها، ووجد وسيلة لذلك. وهذا ما جعلها تبتسم له.

« سأقرأه الآن، أيمكنك البقاء؟»

أومأ برأسه ممتناً.

كان عمله جيداً ومميزاً، وهذا ما لم يدهشها. فلقد اظهر اهتماماً واضحاً للموضوع وهو ولد ذكي جداً.

اعادته اليه وهي تقول:« انه عمل جيد، بول.»

« حقاً؟ هذا رأيك؟» بدا متحمساً جداً، فابتسمت له. من الواضح ان رضاها يعني له شيئاً. فشعرت باحساس قوي من الراحة والحماس له أكثر.

« نعم، حقاً، لكنك تعلم ذلك، اليس كذلك؟»

اخفض نظره وهز برأسه قائلاً:« نعم، فأنا احب الحيوانات. ولقد تسليت كثيراً بهذا المشروع. ذهبنا انا وابي إلى حديقة الحيوانات الاحد الماضي. ولقد فرحت كثيراً، لكن الشيء المحزن الوحيد ان تري تلك الحيوانات... اقصد، مسجونة في قفص.»

« نعم، اعلم ما تقصده، لكنه أمر جيد ان تجد الناس فرصة لتراهم.»

هز رأسه موافقاً واعاد نظره الى الورقة في يديه، قال:«هل هناك اخطاء املا ئية؟»

« فقط كلمتان. لقد وضعت تحتهما خطاً بقلم رصاص. اعتقد ان والدك سيشعر بالفخر من عملك هذا.»

لمعت عيناه وقال:« نعم، من الأفضل ان اعود إلى المنزل شكراً لك.»

بدأ بول يظهر لها ارتياحه، شيئاً فشيئاً، بعض الكلمات هنا، وقليلاً من الاراء والجمل هناك، وكأنه يمتحنها. وتلك المعلومات المدروسة، كانت مهمة جداً لها.

كان لديه صديق مفضل في بونس ايريس، صبي ارجنتيني يدعى كاكو. وكانا يلعبان معاً في فريق واحد لكرة القدم، ولديهما ذات الاهتمام بالحيوانات. ولقد اخذهما والدي كاكو في مخيم في الجبال.

في اليوم التالي الذي قرأت فيه التقرير صعد إلى شقتها حاملاً معه دفتر صور. كان متحمساً وحيوياً جداً وهو يخبرها عن الرحلة وعما شاهداه هو وكاكو . لكن عندما اغلق الدفتر اصبح فجأة هادئاً وحزيناً.

قالت وقد رأت الحزن يلمع في عينيه:« لابد أنك تفتقد صديقك.»

هز كتفيه ببساطة وقال:« نعم.» وكأن الأمر ليس بذات أهمية، لكن وجهه وعينيه اظهرا تماماً كم هو حزين، فشعرت بأن قلبها ينفطر من الحزن عليه.

قالت:«لدي اصدقاء كثر في أفريقيا، ايضاً. وانا افتقدهم كثيراً. انه لأمر صعب ان تبتعد وتتخلى عن اصدقاء مهمين لك. يبدو الامر بمنتهى الظلم.»

تنهد واجاب:« نعم.» بعد قليل تابع:« لكن علينا ان نكون اقوياء، علينا ان نتأقلم ونقيم صداقات جديدة.» لكن كلماته بدت بدون معنى وكأنه يسمعها.

« هل هذا ما يقوله والدك؟»

هز رأسه ولم يقل كلمة.

« ليس من السهل اقامة صداقات جديدة.»

« لا، لأنني اريد ان ابقى صديقا لكاكو. كما وان اهله رائعون. كنت احب كثيراً البقاء عندهم، هل تعلمين. كنا... كنا كاخوين اكثر من صديقين. كيف يمكنني ان اتخلى عنه؟ اقصد....» توقف عن الكلام ليعض على شفته ويبعد نظره عنها، لكنها رأت اثاراً للدموع في عينيه.

شعرت بقلبها يطير اليه. فهو يبدو طفلاً حزيناً بكل سنواته الاثنتي عشر. حزين جداً ووحيد تماماً.

«ماذا يقول والدك عندما تقول له ذلك؟»

هز كتفيه ونظر إلى يديه، وقال:« يقول لي انني سأتمكن من اجتياز المرحلة. وانني سأحظى باصدقاء جدد.» شد على يديه وتابع بصوت غامض:« لا اريد ان اقيم صداقات جديدة.»

قالت:« افهم ما تشعر به، انك تشعر بالخوف من ان تفتقدهم، ايضاً.»

نظر إليها بعينين واسعتين، وكأن حقيقةجديدة ظهرت له فجأة. تنهدبعمق وقال:« نعم.»

عليها القيام بشيء ما. فبول يتألم كثيراً وكل ما يفعله والده هو اقناعه ان عليه ان يكون قوياً. شعرت فجأة بتصميم قوي. على برينت ان يرى الامور بوضوح. عليه ان يتنبه للأمر. من الواضح انه لا يحب أن يناقش أمور بول معها، فهو يتجنب ذكره دائماً. ولقد سمحت له ان لا يتكلما عن بول لأن ذلك يوتر الاجواء بينهما وكانت ترغب بتجنب ذلك.

اغمضت عينيها. لا تستطيع ان تترك الامر على ما هو عليه.

انهامغرمة ببرينت الرجل. لكنها على خلاف دائم مع برينت الاب. ومن الصعب عليها ان تشعر بأنها ممزقة هكذا. لكن قلبها يذوب من اجل بول وهو بحاجة ماسة لمساعدتها.

اتصلت ببرينت في اليوم التالي ودعته للصعود إلى شقتها لتناول شراب ما. وصل بعد الثامنة بقليل، وهو يرتدي كنزة فوقه قميصه. وضع يديه على وجهها ابتسم لعينيها قائلاً:«ما هذه المفاجأة الرائعة، كنت أفكر بك اليوم. وانا أفعل ذلك بصورة متواصلة هذه الأيام. اتساءل ماذا يحدث لي؟»

ماهذه الكلمات الجميلة! شعرت وكأنها ستذوب من لمسته، لكن باحساسها بهدفها الجديد امسكت يديه بنعومة وابعدتهما عن وجهها.

قالت بهدوء:« اريد التحدث عن بول.»شعرت به يتوتر فجأة، لكنها تابعت:« اعلم انك تعمدت عدم التحدث عنه لأن

ذلك يخلق المشاكل بيننا. لكننا كنا نخدع انفسنا اذا اعتقدنا اننا سنتمكن من المتابعة هكذا.»

لمعت عيناه بظلال غريبة وابتعدت البسمة عن شفتيه وهو يقول:« بول مسؤوليتي وحدي، زوو. ارجوك. دعي أمره جانباً.»

قالت بتوتر:« بول يتألم برينت. ولا استطيع الوقوف جانباً اراقب مدى حزنه. انه عملي وواجبي ان اساعده ان استطعت.»

سأل ببرودة وقسوة:« الا تعتقدين انك تتخطين حدود عملك؟»

شعرت بألم في صدرها قالت:« انني اكثر من اخصائية، برينت! انا انسانة وارى ماذا يحدث وهذا ما يغضبني لأنك كالأعمى ولست راغباً في المساعدة، كما وانك لا ترى ان ابنك يتعذب!»

« اه، اعلم انه يتعذب. لكن اذا سمحت له بهذا العذاب، فكيف اساعده؟»

صعقت من الغضب القاسي في صوته وعلمت بالتأكيد ان هناك شيء اخر في حياتهما غير ما تراه. امور ليست بسيطة ابداً. والمشاكل التي رأتهاهي كنقطة في انحدار جبل جليد.

قالت بنعومة:« فقد بول صديقه المفضل، صديق يقول عنه كأنه اخيه وكل الذي تقوله ان عليه ان يكون قاسياً وان ينشأ صداقات جديدة . ليس الامر بهذه السهولة، برينت. لقد نزع منه عالمه بالكامل عندما انتقلت إلى هنا. لم يكن له اي رأي بذلك، لم يكن له أي خيار. وهذا ما يجعل الناس تشعر بالضياع والغضب. انه احساس مخيف، برينت.»

لمعت عيناه بقوة وقال: «حقاً؟ شكراً لك على مدى تفهمك.»

«اهلاً بك، وهناك المزيد ايضاً. اذا كنت تعتقد ان الطلب منه ان يكون قاسياً سيحل المشكلة، فأنت مخطىء بدون شك. ولا يمكنك ان تسأله ان يلغي عاطفته او يتنكر لها. واذا لم تسمح له بإظهار عاطفته او الإعتراف بها، أو أجبرته على التخلص منها فأنت لا تخدع إلا نفسك باعتقادك انه سيتخطى الامر. لأنه لن يفعل.»

«وفري علي محاضرتك بالطب النفسي، زوو. لقد سمعتها من قبل.»

«لكنك لا تصغي إلى ما أقوله.»

قال وقد ازداد وجهه ضيقاً: «وانت تعرفين كل شيء، أليس كذلك.. مع شقتك المريحة، وعملك العادي، وافكارك المنظمة؟ انت مليئة بالمنطق وبالحس العام. تتحدثين مع اهالي الطلاب ولديك كل الأجوبة، جميعها منظمة ومترتبة في جوارير خاصة في دماغك في ملفات محددة. حسناً قدمي لي خدمة، اذا امكنك؟» تابع ببرودة: «ابتعدي عن علاقاتي مع ابني! قد تكونين مستشارة المدرسة لكنك لست امه! جدي لنفسك ولداً آخر بحاجة لإهتمامك ودعيني اهتم بابني بنفسي! والان، اذا سمحت لي بالمغادرة؟» استدار وصفع باب شقتها وراءه.

الفصل الرابع

ماان دخلت زوو المكتب الرئيسي للمدرسة كي تنسخ بعض الأوراق على آلة النسخ حتى رأت بول يجلس على كرسي بانهاك وقد احمر وجهه من كثرة الحرارة.

وقفت أمامه وقالت: «بول؟»

نظر إليها نظرة باردة وسعل. كان صوت سعاله ينذر بخطر المرض الشديد.

قالت: «هل أنت مريض؟»

هز رأسه بيأس واضح.

نظرت آن، سكرتيرة المدرسة إلى زوو وقد تجهم وجهها: «لا استطيع الاتصال بأحد. فوالده ليس في المكتب، كما ان لا أحد يجيب في منزل جديه.»

سعل بول مجدداً. وكان من الواضح انه مصاب ببرد أو أنه سيتعرض لحالة انفلونزا حادة. ما كان عليه القدوم إلى المدرسة. انه يحتاج إلى فراش دافىء وإلى شراب ساخن وبعض الأدوية.

بدأت زوو تفكر وتخطط بسرعة، قالت: «سآخذه إلى المنزل، اتصلي بي عندما تجدين والده.»

نظمت عملها للنهار كله، واستقلت مع بول سيارة أجرة واخذت تبحث عن مفتاح منزله لتجده في جيب حقيبته مع عدد كبير من الأشياء الصغيرة، والمزعجة أيضاً. قررت انه من الأفضل له يرتاح في سريره وليس على الصوفا في شقتها.

اوقفت السيارة لتدخل إلى أقرب صيدلية لتحصل على دواء للسعال وعلى الادوية المناسبة لمن يتعرض إلى وعكة صحية، لأنها لم تأمل ان تجد اي نوع من هذه الادوية في شقة برينت، او في شقتها.

كانت غرفة بول متناقضة جداً مع كل ما تبقى من الشقة. فلقد كانت الجدران مليئة بالصور للفنانين والحيوانات المفترسة، كذلك سيارات السباق، وألعاب وكتب مختلفة وثياب ملقاة على الكرسي وعلى الرفوف.

لم يكن سريره مرتباً، فرتبت الغطاء، وغادرت الغرفة ليتمكن من نزع ملابسه وارتداء بيجامته. صنعت له شراباً ساخناً من الشاي والليمون والعسل، ولقد احضرتها من منزلها.

قال بائساً بينما كانت تقدم له الدواء والشراب: «انني آسف لإزعاجك.»

قالت بهدوء: «انا لست منزعجة، كما وان لا دور لك بذلك.»

« هل ستعودين إلى المدرسة؟»

« لا، سأبقى هنا.»

«لا داع لذلك . فأنا سأنام.»

«لقد احضرت معي بعض الاعمال المكتبية، لذلك لا داع للقلق.» اخذت من يده فنجان الشاي وتابعت: « ربما ستشعر انك افضل حال عندما تصحو.»

قال: « كان الشراب منعشاً ولذيذاً.»

«كانت امي تعده دائماً لي عندما اصاب بالبرد. لا ادري ان كان يفيد حقاً، لكن يبدو انه كذلك.»

هز برأسه ونظر إلى الطاولة في غرفته المليئة بكل الأنواع، حدقت

عيناه بشيء ما لحظة قصيرة، بعدها تمدد تحت الأغطية، واغمض عينيه. احساس غريب، جعلها تنظر إلى الطاولة لتجد الكتب، والبطاريات، كلسات، ولعبة طائرة. وصورة.

شعرت وكأنها ستختنق. حدقت بالصورة... إمرأة جميلة تبتسم لها. امرأة بشعرها الأسود الطويل وعيناها الرماديتان، تحمل بين ذراعيها طفل صغير. اغمضت زوو عينيها وهي تشعر بغصة في صدرها. هذه صورة بول وهو طفل بين ذراعي امه. لابد انها كذلك.

تنفست بعمق وغادرت الغرفة بهدوء، تاركة الباب مفتوحاً. وقفت امام النافذة في غرفة الجلوس تحدق بالشارع من دون ان ترى شيئاً. كل الذي كانت تراه صورة المرأة.

أم بول، وزوجة برينت. لما اصيبت بكل هذا التوتر من رؤية تلك الصورة؟ فلابد ان يكون لبول أم. وان يكون لبرينت زوجة. من المنطق، انها تعرف ذلك، لكن رؤية الصورة جعلت الأمر واقعاً ملموساً. اصبح لديها وجه الآن في مخيلتها، وجه جميل له عينين رماديتين وشعر اسود لامع. وجه المرأة التي أحبها برينت.

ما الذي حدث لها؟ هل ماتت؟ هل تطلقا؟ واين هي الآن؟

تنفست بعمق. لاجدوى من التفكير بهذا النوع من الأسئلة الان، فالأجوبة لن تهبط من السماء.

ابتعدت عن النافذة. لقد أتت إلى هذه الغرفة عدة مرات منذ الأسابيع القليلة الماضية، ولم تبد لها الآن كما كانت في السابق. وجدت سجادة تركية جميلة على الأرض وعدة لوحات مميزة على الجدار. لكنه كان لا يزال يظهر بوضوح انه منزل رجل.

حضرت فنجان قهوة، وهذا ما دعاها لتتأكد من عدة جوارير ومن فتح معظم خزائن المطبخ لتجد ما تحتاج له. حسناً، كان من الغرابة ان تجد نفسها بمفردها في شقة سنكلير فشعرت بعدم راحة غريبة، ربما ما كانت لتشعر هكذا لو ان برينت لم يكن غاضباً منها ليلة البارحة. اغمضت عينيها وتذكرت وجهه الغاضب، وسمعت كلماته القاسية مرة ثانية.

« ابتعدي عن علاقاتي مع ابني! قد تكونين مستشارة المدرسة لكنك لست أمه؟» حسناً، ها هي الان، تهتم بابنه، تعطيه الدواء ، وتضعه في سريره، وتجلس معه.« جدي لنفسك ولداً آخر بحاجة لاهتمامك وعنايتك ودعيني اهتم بابني بنفسي!» وكما حدث، لم يكن هنا ليهتم بابنه، وهكذا عادت الظروف اليها لتعتني ببول. عضت على شفتها لتمنع نفسها من الإبتسام. كان من الصعب عليها ان لاترى سخرية كلامه. تساءلت ما الذي سيقوله عندما يجدها في شقته. من المؤكد انه لن يقترح عليها عدم القيام بما فعلته؟ جلست على الصوفا وبدأت بالعمل.

عملت لمدة ساعتين، بعدها سمعت قفل الباب يفتح مخفق قلبها بسرعة لم يتصل بها أحد ليقول ان برينت في طريقه الى البيت.

لكن لم يكن القادم برينت. كانت كريستين. وهي تحمل بيدها كتباً.

حدقتا ببعضهما، متفاجئتين.

قالت كريستين:« اه، لم اكن اعلم انك هنا.»

« بول مريض. لقد تعرض لوعكة صحية، الإنفلونزا. لم

تستطع الإدارة الاتصال بوالده، لذلك احضرته الى المنزل.»

« هل هو في السرير؟»

« نعم، إنه نائم.»

«إذاً، لا استطيع مساعدته في دروسه.»

«لا.» لكن يمكن لكريستين البقاء بقربه حتى يعود برينت إلى المنزل. لكن بول قال:« انا اكرهها.»

سألت زوو:« في اية ساعة سيعود والده إلى المنزل؟»

« قال انه سيعود عند الساعة السادسة او اكثر قليلاً.»

سمعت نفسها تقول:« سأبقى معه حتى عودة والده. يمكنك الذهاب.»

ترددت كريستين قليلاً.« تعتقدين انه من المناسب ان اذهب؟»

« لا ارى سبباً يمنعك من الذهاب.»

« حسناً، سأقدر لك ذلك. لدي امتحان غداً في مادة العلوم الطبيعية وارغب في امضاء بعض الوقت في المكتبة.»

« سأقول لبرينت انني طلبت منك الذهاب.»

ابتسمت وقالت:« شكراً.»

توقعت زوو ان تراها تسير نحو الباب وتغادر، لكن كريستين بقيت وعضت على شفتيها، قبل ان تقول وهي تشعر بالإحراج:«هل استطيع ان أسألك سؤالاً؟»

« بالطبع.»

« هل هناك شيء... اقصد ، هل انت وبرينت...؟» رفعت يدها وتابعت:« آسفة، هذا الأمر لا يعنيني ماكان يجب أن أسأل .» واستدارت لتغادر بسرعة.

حدقت زوو بذهول بالباب المغلق . فكريستين مغرمة

ببرينت. لم يفاجئها الامر، بالطبع. ولما لا تكون مغرمة به؟ اغمضت عينيها، اه! تباً.

ذهبت تستفقد بول، الذي كان لا يزال نائماً. بدت حرارته منخفضة. بذلت جهداً قوياً كي لا تنظر ثانية إلى الصورة.

صعدت إلى شقتها ، خلعت بدلتها وارتدت بسرعة بنطال جينز وقميصاً قطنية خفيفة. استفاق بول بعد فترة قصيرة من عودتها.

سألته:« كيف تشعر؟»

بدأ يسعل ثانية، وقال بحزن:« لا اشعر انني بخير. هل استطيع الحصول على فنجان آخر من ذلك الشراب؟»

حضرت له ثانية شراباً ساخناً، وحضرت لنفسها فنجان شاي. سألها عن كريستين وشعر بالراحة عندما علم انها ارسلتها إلى المنزل. قال:« اراهن انها كانت لترغمني على القيام بفروضي حتى لو كنت مريضاً، انها ما كرة.»

لم تعلق زوو على كلامه. لأن كريستين تبدو لطيفة، من المحتمل انها تنفذ اوامر برينت لتجعل بول يقوم بواجباته، مهما كانت الظروف.

قال بول وهو مرتبك:« لقد كان ابي غاضباً جداً البارحة، عندما عاد من منزلك.»

« اعلم.»

« اراد التحدث معك عن تقارير علاماتي، اليس كذلك؟»

« نعم.»

« حسناً، لست انت السبب بفشلي! ماكان عليه ان يغضب منك!» وعاد ليسعل من جديد.

ابتسمت له وقالت:« استرح، ياصغيري، ولا تقلق بشأني.»

اسند رأسه إلى الوراء واغمض عينيه، وتمتم:« هذا ليس عدلاً، لا وجود للعدل، وحياتي مقرفة.»

قررت زوو ان لا تتأثر بوضعه وسمحت له بالإنتقال الى الصوفا في غرفة الجلوس كي يشاهد التلفزيون، لكن بعد مرور ساعة عادت حرارته ترتفع فرجع إلى سريره بعد ان اعطته جرعة جديدة من الدواء. لكنه لم يتناول حساء الدجاج الذي أعدته.

عند الساعة السادسة سمعت الباب الأمامي يفتح ويقفل. اصوات ضحك في القاعة الامامية. صوت إمرأة. بعدها سمعت صوت المفتاح في باب الشقة. ودخلت امرأة طويلة تبتسم، بينما تبعها برينت وهو يضحك عالياً.

شعرت زوو بدقات قلبها تتسارع. اختفت ابتسامة برينت ما ان رآها على الصوفا فرفع حاجبيه متفاجئاً.

قالت:« بول مريض، ولم يتمكنوا في المدرسة من الاتصال بك او بجديه، لذلك احضرته إلى هنا.» نهضت وأخذت تجمع اوراقها.

قال برينت بصوت قلق:« ما باله؟»

« تعرض لوعكة صحية، او ربما الانفلونزا. لقد اصيب بالحرارة والسعال. انه في فراشه الآن. لقد اعطيته جرعة من الدواء عند الساعة الخامسة. يمكنه ان يأخذ جرعة ثانية عند الساعة التاسعة.»

غادر برينت الغرفة من دون ان يضف اية كلمة، تاركاً اياها مع المرأة، التي ابتسمت لها ومدت يدها لتصافحها قائلة:«اسمي كايت كارنغتون. واخشى ان اقول انني السبب لعدم وجوده في مكتبه. كان في مطار ديولز

بانتظاري وقد تأخر وصول الطائرة قليلاً، بعدها اجبرنا على البقاء لمدة أطول من ساعة بسبب حادث سير كبير.»

صافحتها زوو وعرفتها بنفسها وتابعت:« لاداع للإعتذار. سعدت بمساعدة بول. اعيش في الطابق العلوي، لذلك ليس هناك اي سوء.»

التقطت اوراقها وقالت:« انني ذاهبة، اسعدني لقاءك.» ابتسمت لها بتهذيب، ثم فتحت الباب واغلقته وراءها. وجدت أمامها حقائب غالية الثمن. اسرعت بالعودة إلى شقتها، وضعت ما تحمله على الطاولة الصغيرة في غرفة الجلوس ورمت بنفسها على الكنبة. اغمضت عينيها وتنهدت بعمق.

كان قلبها يخفق بقوة. من صعودها بسرعة على الدرج، ومن رؤية بريت وهو يعود إلى المنزل برفقة امرأة جميلة.

انه حر كي يعود إلى منزله برفقة عشرة نساء جميلات. فردة فعلها سخيفة. فقد تكون شقيقته، ابنة عمه....

دق جرس الهاتف.

سأل بريت:« لماذا هربت بهذه السرعة؟»

هربت؟ شدت على اسنانها وقالت بصوت هادىء:« لقد عدت إلى المنزل، فلم يعد هناك من حاجة لوجودي.»

قال:« اقدر لك اهتمامك ببول.»

صمتت لفترة قصيرة، بعدها قالت بصوت مهذب:« انت على الرحب.» اتمنى انني لم اتجاوز حدودي المهنية، كانت ترغب باضافة ذلك، لكنها احتفظت بما تفكر به لنفسها. فآخر ما تريده هو ان تتصرف بطفولية أو بسخافة.

« لقد طلبت طعام ياباني. واحب ان تنضمي إلينا.»

هل يعتقد انها مجنونة؟

« شكراً، لكنني لا استطيع. لدي صف الليلة.» وهذا صحيح.

شعرت بأنها يائسة، وغاضبة من احساسها بذلك. اولاً رؤيتها لصورة زوجته، بعدها اعلمتها كريستين انها مغرمة ببرينت، وفوق كل ذلك كان تصرفه هو وعودته إلى منزله مع إمرأة فاتنة. كان هناك عدة رسائل لها، اذا ارادت ان تراهم او تفهمهم.

بعد ان تناولت عشاء سريعاً، غادرت باكراً لتذهب إلى صفها. بعد ذلك انضمت إلى عدد من الطلاب بالذهاب إلى مطعم صغير لشراب شيء ما.

كان الوقت متأخراً عندما اوصلتها سيارة اجرة إلى المنزل. لم تر الحقائب في المدخل. هل انتقلت إلى الداخل؟ عضت على شفتها هي تصعد إلى منزلها.

لم تتذكر مرة انها شعرت هكذا... يائسة غاضبة والغيرة تنهشها.

لم تستطع ان تتذكر انها شعرت يوماً باحاسيس كهذه لرجل غير بريت.

• • •

دق على بابها بعد مرور يومين، قال:« اسف لأن الوقت متأخر، لكنني رأيت النور في غرفة الجلوس لديك عند عودتي.»

سألت:« كيف هو بول؟» محاولة ان تتجاهل الاحساس القوي الذي تشعر به عندما تنظر اليه.

« احسن قليلاً. انه في منزل والدي. وأمي تعتني به.» رفع حاجباً قبل ان يكمل:« هل أستطيع الدخول أم أن الوقت متأخر؟»

بانتظاري وقد تأخر وصول الطائرة قليلاً، بعدها اجبرنا على البقاء لمدة أطول من ساعة بسبب حادث سير كبير.»

صافحتها زوو وعرفتها بنفسها وتابعت:« لاداع للإعتذار. سعدت بمساعدة بول. اعيش في الطابق العلوي، لذلك ليس هناك اي سوء.»

التقطت اوراقها وقالت:« انني ذاهبة، اسعدني لقاءك.» ابتسمت لها بتهذيب، ثم فتحت الباب واغلقته وراءها. وجدت أمامها حقائب غالية الثمن. اسرعت بالعودة إلى شقتها، وضعت ما تحمله على الطاولة الصغيرة في غرفة الجلوس ورمت بنفسها على الكنبة. اغمضت عينيها وتنهدت بعمق.

كان قلبها يخفق بقوة. من صعودها بسرعة على الدرج، ومن رؤية برينت وهو يعود إلى المنزل برفقة امرأة جميلة.

انه حر كي يعود إلى منزله برفقة عشرة نساء جميلات. فردة فعلها سخيفة. فقد تكون شقيقته، ابنة عمه....

دق جرس الهاتف.

سأل برينت:« لماذا هربت بهذه السرعة؟»

هربت؟ شدت على اسنانها وقالت بصوت هادىء:« لقد عدت إلى المنزل، فلم يعد هناك من حاجة لوجودي.»

قال:« اقدر لك اهتمامك ببول.»

صمتت لفترة قصيرة، بعدها قالت بصوت مهذب:« انت على الرحب.» اتمنى انني لم اتجاوز حدودي المهنية، كانت ترغب باضافة ذلك، لكنها احتفظت بما تفكر به لنفسها. فآخر ما تريده هو ان تتصرف بطفولية أو بسخافة.

« لقد طلبت طعام ياباني. واحب ان تنضمي إلينا.»

هل يعتقد انها مجنونة؟

« شكراً، لكنني لا استطيع. لدي صف الليلة.» وهذا صحيح.

شعرت بأنها يائسة، وغاضبة من احساسها بذلك. اولاً رؤيتها لصورة زوجته، بعدها اعلمتها كريستين انها مغرمة ببرينت، وفوق كل ذلك كان تصرفه هو وعودته إلى منزله مع إمرأة فاتنة. كان هناك عدة رسائل لها، اذا ارادت ان تراهم او تفهمهم.

بعد ان تناولت عشاء سريعاً، غادرت باكراً لتذهب إلى صفها. بعد ذلك انضمت إلى عدد من الطلاب بالذهاب إلى مطعم صغير لشراب شيء ما.

كان الوقت متأخراً عندما اوصلتها سيارة اجرة إلى المنزل. لم تر الحقائب في المدخل. هل انتقلت إلى الداخل؟ عضت على شفتها هي تصعد إلى منزلها.

لم تتذكر مرة انها شعرت هكذا... يائسة غاضبة والغيرة تنهشها.

لم تستطع ان تتذكر انها شعرت يوماً باحاسيس كهذه لرجل غير برينت.

• • •

دق على بابها بعد مرور يومين، قال:« اسف لأن الوقت متأخر، لكنني رأيت النور في غرفة الجلوس لديك عند عودتي.»

سألت:« كيف هو بول؟» محاولة ان تتجاهل الاحساس القوي الذي تشعر به عندما تنظر اليه.

« احسن قليلاً. انه في منزل والدي. وأمي تعتني به.» رفع حاجباً قبل ان يكمل:« هل أستطيع الدخول أم أن الوقت متأخر؟»

قال لها:« لقد انتهت جميعها، لكن سأحضر لك منها.»

كانت بحالة سيئة فلم تعترض. فتحت باب منزلها وعادت لتجلس على الصوفا. وتحدق بالتلفزيون من دون ان ترى شيئاً. حيث كان هناك عرض لثياب البحر. والعارضات جميعهن ممشوقات القد، وتبدين بصحة جيدة وبحيوية واضحة وهذا ما جعلها تشعر أنها بحالة أسوأ.

بعد مرور نصف ساعة دق برانيت على الباب فنادته كي يدخل بصوت خشن ضعيف.

كان يحمل بيده كيساً ورقياً ويرتدي جينزاً وقميصاً قطنية ويبدو كمثال واضح للصحة والجمال. شعرت وكأنها خرقة بالية، لكنها لم تهتم.

نظر اليها ولم يعلق. ربما رآها مخيفة، لكنه رجل مهذب ليقول لها ذلك.

سألها:«هل علمت كم هي حرارتك؟»

« لا، بالتأكيد لدي حرارة مرتفعة، لكنني لن اهذي وانهار. سأموت نعم، لكن لن انهار.»

رفع زجاجةكان يحملها بيده، وقال:« ربما تريدين شراباً قوياً من هذه.»

« ماذا يوجد في هذا الكيس؟»

«ادوية، ليمون، عسل، حساء الدجاج، والواح من الشوكولا. كل ماتحتاجينه لتقفي على قدميك ثانية.» وذهب إلى المطبخ.

الواح من الشوكولا. كانت لتضحك لو لم تكن منهارة هكذا. بعد دقائق قليلة قدم لها كوباً من الشراب وجرعة من الدواء. شربت رشفة من الشراب الساخن وقالت:« شكراً لك.»

قال محذراً:« لا تشربيه بسرعة.»

قالت بغضب:« لا تقل لي ماذا علي القيام به، انه جيد واحتاج لكل مساعدة كي اشفي.»

« ماذا تريدين ايضاً؟»

قالت وقد انهت شرابها:« اريد الذهاب إلى سريري كي أموت فيه.» اعطته الكوب وتابعت:« لكن أولاً اريد المزيد من هذا الشراب.»

« اعتقد كوب واحد يكفيك، ما رأيك بقليل من عصير الليمون؟»

شدت على أسنانها. كانت تشعر بأنها محرورة ولم يكن لديها صبر على تصرفه الابوي. قالت:« اريد شراباً قوياً. ولا تقل لي ما الذي استطيع فعله!» حدقت به بغضب، لكن كانت عيناها تؤلمانها فأغمضتهما وتنهدت.

« هل أنت متأكدة؟»

« بالطبع انا متأكدة!»

صنع لها كوب شراب آخر حار وقوي وصنع لنفسه القهوة وجلس يشربها ويراقب التلفزيون بقربها. كانت حرارتها مرتفعة جداً.

قالت وهي تضع الكوب جانباً:« اشعر أنني افضل.» لكنها كانت تكذب. كانت تشعر بأنها مخيفة ورأسها يدور.

مد ساقيه واتكأ براحة على المقعد وكأنه لا يرغب بالمغادرة قال:« جيد، قال بول ان شرابك يصنع العجائب. هل وضعت فيه شيء ممنوع.»

« هل أنت مجنون؟ فأنا مواطنة صالحة. فقد تعمل على القاء القبض علي. وهكذا ستتمكن من التخلص مني.» نظرت

إليه غاضبة واضافت:« وهذا من حسن حظك.» لم تدري ما الذي دفعها لقول ذلك لكن يبدو أنها لا تستطيع السيطرة على كلامها. شعرت وكأنها حزينة. ارادت ان تبكي بمفردها وان تراه يغادر. لا، لا تريد ذلك. تريده ان يضمها اليه كي تشعر انها بحالة افضل.

نظر اليها وقال:« لا اريد التخلص منك.»

دفعت شعرها بعيداً عن وجهها وقالت:« ليس هذا هو الإنطباع الذي قدمته لي منذ عدة ليالي مضت. لقد كنت غاضباً وقلت لي أشياء مخيفة.»

عقد ذراعيه على صدره، وقال:« تريدين النقاش بذلك؟»

قالت :« نعم، واريد ان اقول لك انك غبي ومغرور. كل الذي اريده هو مساعدة بول.» وبدأت بالسعال. انهمرت الدموع من عينيها، فهي تشعر بحالة من اليأس الشديد. فهناك الكثير من الصور والكلمات تضج في رأسها.

« هل تعلم ان كريستين تشعر بشيء نحوك؟»

رفع حاجبيه، ولكنه لم يقل شيئاً.

« ومن كانت تلك المرأة التي صحبتها إلى منزلك تلك الليلة؟»

ظهرت ابتسامة صغيرة على زاوية فمه وقال:« ها نحن نغار، اليس كذلك؟»

« لا، انا فقط امرأة منطقية. ولا أريد اية صداقة مع شخص لديه علاقات كثيرة.» وبدأت بالسعال.

قدم لها علبة المحارم الورقية وقال:« فهمت.»

« استطيع ان أهتم بنفسي.»

قال مشجعاً:« بالطبع.»

« ولا تضحك علي!»

«انا لا اضحك عليك. لا أجرؤ على الضحك على امرأة بذكائك وقدرتك.»

مسحت الدموع المنهمرة على وجهها وقالت:« لست متأكدة انك ذكي.»

«لأنني دعوت امرأة إلى منزلي؟»

« هل هي صديقتك؟»

«لقد دعوتك إلى منزلي ولست صديقتي.»

« انا لا اصادق أي كان.»

« هذا شيء يريحني لأنني كذلك. كايت هي زوجة صديقي وهما يعيشان في بونس ايريس. ولقدذهبت إلى الفندق بعد تناول العشاء.»

نظر اليها وهو يضع يديه في جيبه، كان يبدو واثقاً من نفسه. كان كبيراً، قوياً ومسيطراً. لم تكن تدري ان كانت تحبه او تكرهه. ارادت ان تذهب الى سريرها وتغرق في سبات عميق.

« اريد الذهاب إلى النوم.»

« فكرة رائعة. تعالي ودعيني اساعدك.»

«استطيع الذهاب بمفردي.» نهضت لكن ساقيها كانتا ترتجفان. وضع ذراعه حولها وسار معها الى غرفة نومها. لم يكن لديها قوة كي تعترض، تناول منها روبها ووضعه على الكرسي.

قال:« ترتدين ثياباً للنوم من الصوف. تبدين كالعجائز.»

« اه، اخرس ودعني بمفردي.» استلقت على سريرها وغطت نفسها حتى ذقنها.

« لا أحب ثياب النوم الصوفية. فهي تزعجني.»

اغمضت عينيها وقالت:« ومن يهتم لأمرك؟»

« اعتقدت انك تهتمين.»

«انك تهذي. وغرورك لا حد له.»

«انت مريضة جداً، عزيزتي. يجب ان تسمعي نفسك تتكلمين.»

اخذت تسعل من جديد، حتى تساقطت دموعها على خديها. قالت أخيراً:« اه، ارحل. ارجوك دعني اعاني بسلام!»

ضحك وقال:« تصابين بالهلع من المرض، هل تعرفين ذلك؟»

«وانت تزيد جنوني! ماهذه المعاملة للأشخاص المريضين؟»

« حسناً، حسناً. سأرحل. لكنني سأعود لأتفقدك عند الصباح.»

« لا تزعج نفسك.»

• • •

لكنه فعل. عاد عند الساعة السابعة، دخل لأنه اخذ المفتاح معه قبل ان يغادر ليلة أمس. لم تفكر بوضع السلسلة للباب، وهكذا دخل على الفور. وقف عند باب غرفة نومها مرتدياً بدلة وربطة عنق جميلة جداً، وكأنه جاهز ليحتل العالم.

كانت قد امضت ليلة صعبة ولم تشعر بعد بأي تحسن. رؤيته بأفضل حال لم تحسن وضعها لقد رأت نفسها منذ دقائق على المرآة. شعرها اشعث وجهها متعب ومتورم وانفها احمر كما ان عينيها متعبتان.

قال:« لقد استيقظت . تشعرين بأنك أفضل؟»

« لا.»

« سأعد لك بعض الشاي وقطعة توست.»

شعرت بالرغبة في الرد انها لا تريد الشاي وتوست، منزعجة من موقفه المتسلط. ألا يستطيع ان يسألها ان كانت تريد الشاي والتوست؟

انعشها فنجان الشاي، لكنها لم تتمكن من ان تأكل الا قطعة صغيرة من الخبز. جلس بقربها وهي تأكل، وكأنه يملك كل الوقت المتوفر في العالم اجمع، مع انها متأكدة أن لديه الكثير من الاعمال.

قالت:« انني بخير، وشكراً لك. هيا اذهب إلى عملك. وشكراً لك لحضورك ليلة أمس. اعلم أنني مريضة مزعجة. اكره ان أمرض ولذلك اصبح سيئة الطباع.»

قال وهو يبتسم:« نعم، لاحظت ذلك. انت سيئة الطباع، ولن اتحدث عن عدم سيطرتك على لسانك.»

اغمضت عينيها وزفرت بقوة. لقد تذكرت. لم يمض وقت طويل كي لا تتذكر ما قالته وما سألته.

قال معلقاً:« كان حديثك مشوقاً جداً.»

« لا تحرجني.»

« سأذهب إلىعملي.» ومد يده الى جيبه ليخرج بطاقة ويتابع:« سأبقى في المكتب طوال اليوم. اتصلي بي ان احتجت لأي شيء. فأنا في خدمتك.»

حدقت في البطاقة. كانت بطاقة مميزة. وليست بطاقة لشخص قد يسرع إلى اي كان لاصابته بالإنفلونزا.

« شكراً لك.»

انحنى وقبل جبينها:« سأراك لا حقاً.»

كانت قبلة سريعة جعلتها تشعر برغبة في البكاء ما ان

غادر. فهو لطيف جداً معها، كما كان ليلة أمس، وهي تتصرف وكأنها ولدت شريرة.

مر النهار ببطء شديد. فلم تتمكن من النوم، كما وانها لم تشعر انها تستطيع القراءة. اتصلت بأمها في روما، لكن لم يجبها أحد. تمنت لو ان احداً يمر بها، كما كان يحدث معها طوال الوقت في افريقيا. كان منزلها هناك مختلفاً كلياً. فالمفروشات قديمة وغيرمريحة. لكن مع ذلك تدبرت بطريقة ما ان تجعله منزلاً مرتباً. كانت الناس تتجمع في منزلها للعشاء، او لتناول القهوة، من اجل التحدث وتمضية أوقات سعيدة. انها بحاجة للناس حولها. فلا وجود لأحد هنا. وهذا ما يشعرها بالإحباط.

اخذت تراقب التلفزيون، وتتصفح بعض المجلات، تناولت بعض العصير وبعض الخبز المحمص وعادت إلى سريرها.

استيقظت بعد الظهر وهي تشعر بأنها افضل قليلاً. فاستحمت وارتدت قميص نوم جديد.. لونه زهر وجلست على الكنبة لتشرب فنجاناً من الشاي مع الاعشاب والعسل واتصلت بروما. لم يجبها احد في منزل أمها. جلست وهي تمسك بالهاتف وتشعر بالوحدة والأسى على نفسها.

وصل برينت عند الساعة الرابعة تماماً، وهو يحمل بيده باقة ازهار كبيرة. كانت سعيدة جداً برؤيته. ومع ذلك اخذت تسعل.

قال برينت اجابة على سعالها: « مرحباً لك أيضاً. ارى انك لم تتحسني.»

« سأعيش. ستصاب انت ايضاً به. يجب ان لا تكون هنا.»

« بلى يجب ان أكون هنا. فلدي مناعة ضد الرشح.»

بالطبع لديه مناعة . اي فيروس سيتجرأ على الدخول على جسمه القوي. نظرة واحدة إلى هاتين العينين الزرقاوين والعضلات القوية حتى يهرب بالإتجاه المعاكس.

قالت:« الازهار جميلة، واعتقد انها ستبدو رائعة في المزهرية الموجودة على البراد. اذا كنت ترغب؟»

بعد مرور دقائق وضعت الازهار على الطاولة الصغيرة في غرفة الجلوس. وكانت جميلة جداً للنظر. قالت:« شكراً لك.» نظرت إلى الساعة وتابعت:« لقد اتيت باكراً جداً.»

« اجل. هل تريدين تناول بعض حساء الدجاج صناعة البيت؟»

حدقت به:« صناعة البيت؟ انت طبخت حساء الدجاج؟»

« لا، ارسلته أمي لك.»

« انا لا اعرف أمك.»

« هي تعرفك. حدثها بول عنك.»

« فهمت وهي طبخت لي حساء الدجاج.»

ابتسم ابتسامة هازئة وقال:« اعتقد ان الطباخ من صنعه، لكن لا يهم.»

الطباخ. بالطبع، كم هي سخيفة.

قالت:« احب تناول بعض الحساء، وهذا تصرف لطيف جداً من أمك.»

« أمي امرأة لطيفة جداً. مزعجة ، تتدخل دائماً، تثير غضبك، لكنها لطيفة جداً.» فتح الباب وتابع:« سأعود بعد دقائق.»

* * *

لم تتحسن صحتها إلا بعد مرور عدة أيام، لكن اهتمام

برينت ساعدها. كان لطيفاً جداً، مهتماً وصديقاً. ضحكت من نفسها. فهذه الصفات لا تجدها في نفسها. فهي لا تملك الصبر مع نفسها عندما تكون مريضة، ولا مع اي شخص حولها. وكأنها اصبحت شخصاً آخر... شخص غير مسؤول، متوتر، ولا يعاون أو يقدر أحد.

عادت إلى عملها نهار الجمعة، وهي تشعر بالضعف في ساقيها، لكنها قررت ان تنتهي من حالة المرض هذه، وتنتهي من كونها غير متعاونة. عندما عادت إلى المنزل بعد الظهر، شعرت بالسعادة عندما وجدت رسالة من نيك. رسالة من عدة اوراق وعليها عدة صور ملونة، وضمنها قلب كبير يخترقه سهم.

بدأت بقراءتها وهي تبتسم. كل الأخبار العادية والثرثرة حول المدرسة والبلدة موجودة بالتفاصيل المملة، وتبعها بخبر انه قد حلم بحلم ملهم. عنها، وعنهما معاً. قال، انها كانت صديقته المفضلة. وهو لا يزال يفتقدها بألم شديد.

لقد توصلت إلى نظرية معقولة. فلم ادرك ابداً كم انت غالية علي حتى رحلت. والفراغ الذي أعيشه اثر فعلاً علي. واحياناً ارى الامور بوضوح اكثر الان، فافكر بمنطق. البارحة، وفي لحظة حاسمة، حدث هذا لي: ربما نحن ننتمي لبعضنا، زوو. انت وانا! معا! فكرة مشوقة!

فنحن نحترم ونناسب بعضنا كثيراً. كما واننا نفهم بعضنا جيداً.

وضعت زوو الرسالة في حضنها. انها الحقيقة. فهما يتفاهمان جيداً ويناسبان بعضهما. وهو صديق حقيقي. انه يجعلها تضحك. وهو دائماً جاهز لمساعدتها. وهي ايضاً تفتقده.

وتابعت زوو قراءة الرسالة، اعتقد ان عليك العودة إلى هنا. سنتزوج وننتهي من قصة الوحدة هذه... فانت وحيدة، وانا وحيد. ولما كل هذا؟ لما لا نكون معاً؟ لذلك احزمي امتعتك. وبينما تفعلين ذلك اسدي لي نصيحة واحضري لي معك بعض الثياب الملونة.

اقترح اقامة احتفال قبلي. وهذا اكثر حماسة، اليس كذلك؟

واعتقد ان علينا الذهاب بشهر عسل الى زمبابوي حيث نستطيع الاقامة في خيمة، لكن لا تخافي... سأحميك... انظري إلى الصورة... سنمضي وقتاً رائعاً هناك.

ضحكت عندما نظرت إلى الصورة حيث رسم منظراً في الليل لخيمة تحيط بها الأسود. وفي داخلها، هما معاً، وهي تبدو مرتعبة وتمسك به من رقبته، بينما يبدو هو قوياً ويمسك بسهم وقوس. كان نيك فناناً. ومن المؤكد انه يعلم كيف يرسم.

استمرت في قراءة الرسالة، حيث تابع الكتابة عنهما وهما يسافران في ارجاء الارض. انتهت الرسالة بصرخة كبيرة لها كي ترجع إلى افريقيا، تماماً إلى ذراعيه المنتظرين. ورسم قلباً كبيراً وسهماً كتب عليه« احبك!» وضعت الرسالة وهي تبتسم راغبة في قراءتها ثانية. فرسائل نيك تحتاج الى قراءتها أكثر من مرة، وهذه رسالة مميزة بدون ادنى شك.

كان ذلك يوم عملها الاول، ولقد تراكم العمل بسبب مرضها. عند الساعة الثامنة من تلك الليلة كانت تشعر بالتعب فقررت الذهاب إلى النوم باكراً... ستأخذ حماماً ساخناً، وتراقب التلفزيون قليلاً وستنام بقدر ما تشاء. فمن المؤكد

انها ليست ليلة صافية كي يخرج المرء فيها، لقد بدأ المطر ينهمر والرياح القوية تنذر بهبوب عاصفة. والجو في الداخل دافىء ومريح والبقاء في المنزل لا يشعرها بأي احساس من العقاب.

استلقت في المغطس والصابون يصل إلى ذقنها، وهي تفكر برسالة نيك:« سنتزوج وننتهي من قصة الوحدة هذه.»

العودة إلى أفريقيا لها مميزات كثيرة، او جنوب اميركا، أو آسيا. لا يمكنها ان تنكر انه في أحيان كثيرة، تشعر بقلق غريب. وشيء ما في اعماقها، يجعلها تشك ان قامت بالعمل المناسب بالعودة إلى بلادها.

تمتمت بصوت عال:« اه، هيا اكبري، لقد قمت باختيار صحيح بالعودة إلى هنا. وتعملين على انجاحة.»

فلديها كل ما تريده، اليس كذلك؟ عمل جيد، شقة جميلة ولقد بدأت تنشأ صداقات.

سمعت الهاتف يرن. فلم ترد... لم يكن لديها الرغبة ان تخرج من الماء لتجيب عليه وتدع الماء يتساقط على أرض شقتها الخشبي. اذا كان الاتصال مهماً سيعاود المتصل الكرة.

ما ان خرجت من المغطس بفترة قصيرة حتى سمعت طرقة على الباب. لابد انه بول او برينت. فالباب الرئيسي لم يفتح كما ان لا أحد قد قرع الجرس. شدت زنار روبها ولفت شعرها الرطب بمنشفة صغيرة.

سألت قبل أن تنزع السلسلة عن الباب:« من الطارق؟»

سمعت جواباً حاداً:« برينت.» ففتحت الباب بسرعة. كان وجهه كئيباً فشعرت وكأن قلبها قد علق في حلقها.

سألت:« ما الأمر؟»

« رحل بول.»

« رحل؟»

« ترك لي ملاحظة يقول فيها انه قد رحل ولن يعود ابداً.»

www.elromancia.com

الفصل الخامس

قالت بصعوبة: «ادخل.» اغلقت الباب وراءه وتابعت: «ربما ذهب إلى منزل احد ما وهو بخير.» لفظت كلمتها بدون ان تفكر، محاولة ان تخفف من الخوف الذي يعتريها.

رأت خطوطاً من الحزن والألم على وجهه وهو يقول: «كان من المفترض ان تأخذه أمي من المدرسة، لكنه اتصل بها وقال انه سيعود الى المنزل لأنك اصبحت أفضل ويريد ان يعمل على مشروع ما معك.»

شعرت بجفاف في حلقها، قالت: «لم يكن هنا. فأنا لم أره.»

«لقد عاد إلى المنزل لأنه اخذ بعض اغراضه وترك لي الملاحظة كي اجدها عندما اعود في المساء.» حف وجهه بيديه الاثنتين، وتابع: «لقد اتصلت بكل من أعرفهم. فلا أحد يعلم عنه شيئاً. ماذا يعتقد انه يفعل؟ واين يعتقد انه سينام الليلة؟» كان صوته قاسياً ومليئاً بالإحباط والغضب، وعيناه مليئتان بالقلق.

سمعت صوت انهمار المطر على زجاج النافذة وفكرة بول خارجاً في هذا الطقس العاصف والماطر جعلها ترتجف. «هل اتصلت بالشرطة؟»

ضحك بحرارة وقال: «هل تعلمين كم عدد المراهقين الذين يتركون منازل اهلهم كل عام؟ قالوا انه سيعود بنفسه في الليل، لكن سيبحثون عنه. وان لم يظهر في الغد، علي الاتصال بهم ثانية.» اخرج ورقة من جيبه وقال: «هؤلاء اسماء

الأولاد في فريق كرة السلة. هل تتذكرين اسماء اولاد غيرهم في صفه؟»

نظرت إلى الأسماء والأرقام، واخذت تفكر باسماء اخرى ذكرها بول أمامها او اولاد رأته معهم. هزت برأسها: «انني آسفة، لا اتذكر.»

قال بغضب: «تباً.» وضغط على الورقة بيده. تمنت لو أنها تستطيع القيام بشيء ما، او ان لديها نصيحة مفيدة تستطيع تقديمها، لكن لم يكن هناك اي شيء. كيف يمكن لبول أن يفعل شيئاً كهذا؟ وإلى أين يمكن أن يذهب؟ سمعت صوت الريح في الخارج. كانت ليلة مخيفة... من المؤكد انه لا يتجول في شوارع المدينة؟ ومن المؤكد انه لم يقدم على عمل غبي؟ شعرت باضطراب في قلبها من التوتر.

رن جرس الهاتف فتحرك برينت باتجاهه، بعدها تراجع وهو يقول: «آسف، لقد حولت اتصالاتي إلى هنا قبل ان اصعد، لا اريد ان افقد اي اتصال. علمت انك في المنزل لكنك لم تجيبي على الهاتف عندما تصلت.»

«كنت استحم، لكن لا بأس.» شعرت بأن منشفتها ستسقط عن رأسها فأمسكت بها بيدها بينما امسكت الهاتف باليد الأخرى. كان المتصل بائع يحاول ان يبيعها بوليصة تأمين للسيارة. اسرعت بالتخلص من التحدث معه.

اعتذرت منه، وعادت إلى الحمام، نزعت المنشفة وسرحت شعرها الرطب. لم يكن هناك اي اثر للمكياج على وجهها وكانت لا تزال تبدو شاحبة، لكن مظهرها لا اهمية له في الوقت الحاضر. ذهبت إلى المطبخ واعدت فنجانين من القهوة.

قالت:« تفضل، اجلس قليلاً.»

لم يسمعها حتى. كان يتجول في الغرفة الصغيرة بدون وعي، بعدها يتوقف امام النافذة ويحدق إلى الخارج. نظرت اليه ورأت التوتر مسيطر عليه فشعرت وكأن شيء ما يعصر قلبها.

سألت:« ما الذي حدث؟ لماذا هرب؟»

قال بقسوة، ولم يستدر كي يواجهها:« انني متأكد انك تعرفين السبب. انت من بين كل الناس تعرفين.»

قالت لنفسها، احتفظي بهدوئك. فتنفست بعمق.

«مالذي حدث بالتحديد حتى رغب بالرحيل؟ ما الذي قلته له؟»

وضع يديه في جيبيه وقال:« قلت له كلامي المعهود. انه حان الوقت كي يكبر وان يتقبل الواقع بأن الناس ترحل وتبتعد. وانه لعمل بدون فائدة البكاء على الأمر المحتم. وان عليه التحلي بالشجاعة ويزكر على حياته هنا وان ما عليه القيام به الان ان يجتهد ليجعل حياته أفضل.» تابع يحدث النافذة:« الحياة صعبة، والبكاء لن يساعده. عليه ان يتعلم بأن يكون قوياً.» بدا وكأنه قال هذا الكلام مئات المرات. ومن المحتمل انه فعل.

بقيت زوو صامتة وبقي كلامه معلقاً في فضاء الغرفة انه ذات الكلام الذي تقوله لنفسها منذ وقت إلى آخر، لكن كان هناك فرق كبير. في اي وقت تعرضت فيه لمشكلة ما، كانت تجد دائماً امها او صديق متعاطف. شخص ما يفهم غضبها او حزنها، شخص يقول لها انه لا بأس عليها ان بكت. على الأقل ولو لفترة قصيرة. بينما على بول ان يفعل كل ذلك بمفرده. وغير مسموح له البكاء.

استدار برينت ليواجهها، وليقول بمرارة:« كنت تقولين لي

انني اربي ابني بطريقة خاطئة. حسناً، اعتقد انك على حق. هل هذا يعطيك اي احساس بالرضى، انستي المستشارة؟»

حدقت به، وهي تشعر بغضب قوي كالنار. لكنها قالت بهدوء:« بالطبع، فأنا مسرورة! واطير من الفرح! هذا أمر رائع! بول ضائع ولا أحد يعرف اين هو ويفترض بي ان أفرح لأن هذا يبرهن انني محقة! ماهي مشكلتك؟»

حسناً، انها تعلم ما هي مشكلته. انه قلق وغاضب ويشعر بالذنب وربما ليس بكامل وعيه. انه يشعر بأنه يهاجم وليس لديه اية وسيلة للدفاع عن نفسه.

فرك رقبته وقال:« انني اسف، لم اعرف ماذا كنت اقول. لم اقصد ان اتخلص من غضبي عليك.»

الغضب، هذا ما يسميه، في مفهوم الرجل. ولكن القلق والخوف والألم والاحساس بالذنب لن يعترف بهم جميعاً. كادت ان تبتسم، لكنها قالت:« اعرف.» وامسكت بفنجانها وشربت منه رشفة.

سار باتجاه الباب وقال:« اسف لازعاجك.»

« اه، اجلس! واشرب قهوتك. ماذا تعتقد انني سأفعل عندما تغادر؟ سأخرج لارقص؟»

التقت عيناهما وبدا الصمت ثقيلاً، قال:« انت حقاً تهتمين ببول، أليس كذلك؟»

شعرت بأن يديها ترتجفان. فوضعت جانباً فنجان القهوة وقالت بصوت مضطرب:« ليس الإهتمام به عمل يتطلب مجهوداً، كما تعلم.» ابعدت نظرها عنه، كي لا يتمكن من رؤية الدموع التي ظهرت في عينيها فجأة.

قال بصوت أجش:« اعلم. اه، تباً، زوو.» جلس بقربها ووضع ذراعيه حولها.

وضعت رأسها على كتفه وتنفست بعمق، محاولة ان لا تبكي.

قالت:« سيعود، انه ذكي جداً ليقدم على عمل غبي.»

« لقد اقدم فعلاً على عمل غبي.»

« لكنه سيدرك ذلك ويغير رأيه.»

بقي صامتاً وجلسا هكذا لفترة طويلة. بعدها قفز ومرر يده في شعره، قائلاً:« علي القيام بشيءما. لا استطيع فقط الجلوس هنا وعدم القيام بشيء.» وسار باتجاه الباب.

« الى اين ستذهب؟»

« لا أعلم. سأبحث عنه.» فتح الباب وقال:« ارجوك، ابقي بجانب الهاتف.»

* * *

« الحياة صعبة. والبكاء لن يجدي نفعاً. عليه ان يتعلم بأن يكون قوياً.» لقد كانت هذه الكلمات اكثر من مجرد نصيحة. شيء ما او سر ما وراء هذه الكلمات. كان برينت يقول لابنه ان عليه ان يكون قوياً لأنه هو نفسه بحاجة ليكون قوياً. صورة ما لمعت بذهنها.

صورة امرأة تحمل طفلاً بين ذراعيها. والدة بول. زوجة برينت.

« تقبل حقيقة أن الناس ترحل وتغادر.»

هل توفيت زوجته؟ هل تركته ورحلت؟

لم يتحدث مرة عن زوجته، وهي لم تسأله، لم ترد ان تسأله، لأي سبب كان. شعرت بألم في معدتها. هناك الكثير الذي لا

تعرفه، الكثير الذي لا تفهمه. اشياء كثيرة لم تحاول ان تفكر بها حتى.

ضغطت بيديها على عينيها حتى شعرت بالألم.

والآن ها هو بول قد رحل.

* * *

بعد مرور ثلاث ساعات عاد برينت، مرهقاً ومبلل الثياب.

كانت ستصاب بالجنون من كثرة القلق. لقد اتصلت بكل معلمي بول، متمنية ان تجد احداً قد يعلم شيئاً او قد لاحظ شيئاً.

شكرت حظها على التقنية الجديدة. فهي تستطيع استعمال الهاتف والاصغاء إلى اشارة معينة اذا حاول احد الاتصال بها. وإلا لما تجرأت ولمست الهاتف، خائفة ان تضيع اتصالاً بشأن بول. اعطاها الإتصال بالمعلمين عملاً تقوم به، مع انها لم تكن تأمل ان تحصل على معلومات مفيدة... وهذا ما حصل.

قالت:« لم تجده في اي مكان.» وهذا ما كان واضحاً.

مرر يده في شعره الرطب وقال بحزن:« لا، هل هناك اي اتصال؟»

مع أنه كان يعلم الجواب سلفاً.

اعطته منشفة، وقالت:« لا، آسفة إلى اين ذهبت؟»

مسح وجهه وشعره:« تجولت في الجوار، ذهبت إلى المكتبة، إلى المنتزه، وحول المدرسة.» رمى المنشفة على الأرض وتابع:« تباً، يجب أن يكون في مكان ما!» كان صوته يحمل قلقاً وغضباً ويأساً لا يصدق. لم يكن من نوع الرجال الذي يرضى بأن يشعر باليأس. والأمر المخيف انها تشعر باليأس

مثله. فليس هناك من شيء تستطيع القيام به لتخفف عنه.

قال بضيق:« علي ان ابدل ثيابي. سأذهب لأستحم. هل تمانعين ان احتفظت باتصالاتي عندك حتى انتهي.»

« لا بالطبع لا. هل تناولت العشاء؟»

اجاب وهو متجهم الوجه:« لا، نسيت.»

« سأحضر لك شيئاً ما. اصعد إلى هنا عندما تنتهي.»

نظر اليها، وهي لا تزال ترتدي الروب وشعرها يحيط بوجهها بدون اي تصفيف. قال:« كنت ستنامين. لا اريد ان ازعجك اكثر.»

« لن اتمكن من النوم، برينت.»

حدق بها، بعدها هز رأسه موافقاً، وقال:« لن أتأخر.»

لم تفكر ان ترتدي ثيابها، لانشغال بالها، لكنها ذهبت إلى غرفة نومها الان وارتدت بنطال جينز وكنزتها المفضلة ذات اللون الاحمر الداكن، وبعدها عادت إلى المطبخ.

نظرت إلى محتويات برادها، وقررت ان تحضر له بيض بالخضار. يمكنها ان تقدم له الطعام والرفقة. ليس هذا بكثير، لكنه دعم ما. فالبقاء بمفرده في وقت كهذا قد يكون مرعباً يمكنها ان تتخيل الافكار والمشاعر التي يشعر بها الآن.

كانت سعيدة ان تجد ما تفعله، وطبخ الطعام هدأها. قطعت البصل ووضعته على النار، واضافت اليه بعض البطاطا المسلوقة والخضار والبندورة المقطعة، بعدها وضعت البيض المخفوق فوق المزيج واضافت الملح والبهار وبعض الأعشاب والجبن المبروش. تمكنت من قلب الطعام من غير ان تفسد شكله وعندما اصبح جاهزاً كانت رائحته شهية ويبدو جميل المنظر.

عاد برينت مرتدياً جينزاً وكنزة ويبدو نظيفاً وجافاً، لكن عينيه قلقتين وما ان نظرت اليهما حتى شعرت بأن قلبها يطير اليه. وضعت ذراعيها حوله وامسكت به، وهي لا تعرف ماذا ستقول، لم تقل شيئاً. ضمها اليه، ممسكاً بها بقوة. شعرت بنعومة كنزته على خدها وكانت تسمع دقات قلبه بوضوح.

قالت:« لقد صنعت شيئاً لك لتأكله.» فابتعد عنها. تناول طعامه بصمت، وهو لا يفكر بالطعام الذي أمامه. صنعت ابريقاً كبيراً من القهوة، متمنية ان يرن جرس الهاتف.

وضعت فنجانا القهوة امامه وجلست بقربه إلى الطاولة. قالت، وهي تشعر بدقات قلبها تتسارع:« لقد فكرت بشيء ما. اريد ان أسألك سؤالا.»

التقت عيناه بعينيها. وقال:« حسناً.»

« ما الذي حدث... لأم بول؟» شعرت بغصة في صدرها لكنها تابعت:« هل ماتت؟»

ازداد وجهه توتراً وقال:« لا.»

لم ينظر اليها فتنفست بعمق وقالت:« وأين هي؟»

قال ببرودة:« لا أعلم.»

نظرت إلى يديه، ولاحظت كيف يمسك الشوكة والسكين بتوتر. قالت:« هل هناك اي احتمال ان بول ذهب اليها؟»

ضحك ضحكة قصيرة وساخرة، قال:« لا.» وامسك بفنجان القهوة ورشف رشفة كبيرة.

ارادت ان تسأله لماذا هو متأكد هكذا، لكنها قررت ان لا تفعل. نظرت اليه صامتة.

وضع الفنجان على الطاولة وقال بصوت بارد كالثلج:« لقد غادرت عندما كان بول طفلاً.»

قالت بصعوبة:« يؤسفني ذلك.»

نهض ووقف امام النافذة، ناظراً الى البعيد. بقي الصمت مليئاً بالتوتر وبسؤال لم يسأل.

قال بصوت لامشاعر فيه: «عدت يوماً إلى المنزل من العمل لأجدها تحزم حقائبها. كان السرير مغطى بالثياب. وصناديق مليئة باغراضها... كتب وشرائط موسيقية، لوحات فنية، اواني فضية. كل شيء. كانت تريد الرحيل مع كل شيء تملكه. قالت، لقد اكتفت. سألتها اكتفت من ماذا؟ فأجابت« اكتفت من كل شيء.» توقف قليلاً قبل أن يتابع:« قالت ان لديها امور اهم للقيام بها من هذا.»

« امور اهم من ماذا؟»

« من الإهتمام بابنها.»

شعرت بضربة عنيفة في قلبها، وهمست:« تركت الطفل؟»

استدار لينظر اليها. وتعابير قوية على وجهها. كان هناك شيء مخيف في عينيه، قال:« قالت لي: انت اردته، فاهتم به بنفسك.»

حدقت زوو به:« لم تكن تريد ابنها؟»

« لا، لم نخطط للإنجاب. ارادت التخلص منه فاقنعتها انه من الأفضل لنا ان نرزق بطفل.»

« لماذا؟»

« لانه طفلي. ابني او ابنتي، واعتبرت ان عدم تحمل مسؤوليته عمل أناني، وعذر غير مقبول. لم يكن هناك سبب قيم، في مفهومي، لما لانحظى بطفل. كنت متأكداً أنها ستتقبل الأمر. واعتقدت ان عاطفة الأمومة ستنتصر في النهاية.»

« لكن هذا لم يحدث؟»

«لا، حتى ولابعد ولادته.»

بدا الأمر لها غير معقول، لكنه حدث . فهي تعلم ان الحياة هكذا.« اه، يا لها من مأساة.»

« نعم.»

« وماذا فعلت حيال ذلك؟»

ضحك بمرارة:« توقفت عن حبها. واعتقد انني لم احبها منذ البداية. لقد تأثرت بشخصيتها. كانت مرحة مثيرة وجميلة ومسلية، كل ما يجعلها تبدو رائعة من الخارج... وهي تعمل جاهدة على اظهار ذلك. لكن لم يدم هذا بعد ان اصبحت حامل، عندها ادركت انها لاتملك اية صفات حقيقية تحت تلك المظاهر،وانها لا تعيش الا لنفسها، وانها لا تملك اي حس بالمسؤولية ولا قوة حقيقية في شخصيتها.» رفع كتفيه قبل ان يتابع:« كنت احمقاً لأنني لم أعرفها من قبل، لكنني كنت شاباً واعتقدت نفسي مغرماً لكن ربما بدون وعي مني لم ارد ان اعرف واراها على حقيقتها.»

« ماذا فعلت بعد ان تركتك ورحلت؟»

«اهتميت بابني بنفسي. عملت على تربيته.» برم شفتيه بمرارة وتابع:« وعلى ما يبدو، ليس بطريقة جيدة.»

شعرت بقلبها ينفطر عليه، قالت:« اه، برينت، بول ولد رائع! لكن لديه مشاكل، مثل معظم الاطفال. سوف يتخلص من كل هذه المشاكل.»

قال بيأس واضح:« لقد غادر المنزل، هرباً مني.» كان هناك ألم واضح في صوته.

فكرت، انه يحبه. لقد ربى ابنه بنفسه، معتقداً انه يفعل المناسب له، والان هذه المشكلة.

لم تشعر مرة انها يائسة هكذا . اقتربت منه ووضعت ذراعيها حوله. لم تستطع التفكير بشيء آخر. ارادت ان تقول له، كل شيء سيصبح بخير، لكنها لم تفعل. انها كلمات لا فائدة لها، فارغة المعنى. وهي لا تملك القوة لتعطيه مثل هذا الوعد.

رن جرس الهاتف. قفزا معاً من مكانهما. اختطفت السماعة بسرعة، وقلبها يخفق بعنف.

كانت تلك ماكسي تدعوها إلى احتفال. حاولت زوو ان لا تضحك بعصبية وهي تستمع لماكسي كيف تتحدث عن حفلتها.

قالت:« اشعر انني لست بألف خير الآن ، ماكسي. ولماذا تتصلين بي في ساعة متأخرة. لقد جاوزت الساعة الحادية عشر!»

بدت ماكسي متفاجئة وهي تقول:« اه، حقا؟ لم ألاحظ حتى الوقت. انني آسفة، هل أزعجتك ونهضت من نومك؟»

«لا، لا، لابأس.» نظرت إلى برينت، وترددت للحظة، قبل ان تتابع:« برينت هنا، ونحن قلقان بشأن بول. فهو لم يعد إلى المنزل.»

همست ماكسي:« اه، لقد رأيته يغادر بعد ظهر هذا اليوم.»

غمرها احساس كبير بالأمل، قالت:« رأيته يغادر؟ متى؟»

وبلحظة رأت برينت يقفز على قدميه ويتوجه سريعاً الى هاتف المطبخ.

قالت ماكسي:« عند الساعة الرابعة والنصف. لقد غادر بسيارة ليموزين.»

وللمرة الثانية ارغمت نفسها كي لا تضحك بصورة

هستيرية. هاهي هنا ستموت قلقاً عليه ان يسير في شوارع واشنطن تحت المطر والريح وهو جائع، خائف والبرد والصقيع يحيط به من كل جانب.

لم يكفه انه غادر حاملاً حقيبته الى المجهول، بل فعل ذلك بطريقة مميزة. لقد غادر بسيارة ليموزين.

سمعت صوت برينت. حازماً وهادئاً. قررت زوو ان تترك الاسئلة له.

« هل رأيت معه احد؟ هل كان برفقة أحد؟»

قالت ماكسي:« كان هناك ولد آخر.»

« كيف هو؟»

« لا أعرف! لم انتبه لذلك. صبي.»

« هل هو كبير؟»

« لا اعلم. اكبر من بول. لا استطيع ان اتذكر اي شيء بخصوصه. انني اسفة. اسفة جداً.»

سأل برينت:« وماذا عن سيارة الليموزين؟ اي نوع هي؟»

« لونها فضي، ومميزة جداً.»

كل سيارات الليموزين مميزة بالنسبة لزوو. لم يكن هناك المزيد لتقوله ماكسي فشعرت زوو انه خاب أملها وهي تعيد الهاتف إلى مكانه.

لاهي ولا برينت لديهما اية فكرة من هو ذلك الولد او من هو مالك سيارة الليموزين الفضية. بدأ الخوف يزداد في داخلها كلما مر الوقت،اكثر. بعدها رن جرس الهاتف ثانية، ارتعبت لدرجة انها سكبت القهوة على ساقها.

سمعت صوت امرأة تسأل عن السيد سنكلير. اعطته زوو الهاتف.

قال:« برينت سنكلير.» ساد الصمت وهو يصغي. وفجأة اغمض عينيه وغاب كل التوتر الظاهر على وجهه.

قال:«لا، لم اكن اعلم. اقدر كثيراً اتصالك بي.» وساد صمت قليل ليكمل:« اذا كان الأمر لا يضايقك...»

غطت زوو وجهها بيديها، وهي تشعر بأنها ترتجف من الفرح. انه اتصال بشأن بول. لابد انه كذلك. سمعت برينت يعيد السماعة وشعرت به يجلس الى جانبها.

قال:« انه في ريتشموند.»

رفعت رأسها وقالت:« ريتشموند؟ ماذا يفعل هناك؟»

« يمضي عطلة الأسبوع مع أحد اصدقائه في المدرسة.»

« احد اصدقائه؟ في ريتشموند؟ انها تبعد ساعة من هنا!»

« والدة الصبي تعيش هناك. فوالديه مطلقان وهو يعيش هنا مع والده خلال الاسبوع ويزور أمه ايام العطلات. ذهب بول معه ليمضي عطلة الأسبوع. ومن الواضح ان ستيف هذا يحضر الاصدقاء معه دائماً لكن هذه المرة شكت أمه بالامر لأنه لم يتصل بها لطلب اذن للزيارة ولقد سمعت الولدين يتكلمان عن هروب بول، لذلك قررت ان تتأكد من الأمر.»

« امرأة ذكية.» عضت على شفتها وتابعت:« والان ماذا؟»

« سأذهب لاحضاره غداً. لقد عرضت علي بقاءه الليلة طالما الوقت اصبح متأخراً والطقس عاطل جداً.» حف وجهه، وكأنه يحاول ان يمسح كل القلق الذي عاشه،« بول لا يعلم انها اتصلت. انها خائفة ان تقول له شيئاً فيرحل قبل وصولي.»

تنهدت زوو بعمق وقالت:« اشعر براحة كبرى.» فجأة وباحساس كبير من القوة قفزت من مكانها

وضحكت:«حسناً، يجب ان نحتفل! انه حي وبألف خير.»

« حتى أضع يدي عليه... فاذا حاول مرة اخرى القيام بذلك ثانية...»

وقفت أمامه وتجهم وجهها، قالت:« قل لي ان ما تقوله جنون. قل انك لم تشعر براحة وسعادة لا توصف.»

ظهرت ابتسامة على شفتيه. لقد ارتاح حقاً... فهذا واضح على وجهه، عاد النور إلى عينيه وبدا وكأنه اصغر بعشر سنوات من عمره. شعرت انه يبدو وسيماً... كالعادة.

قال وهو يبتسم:« حسناً، ايتها المستشارة، انني مرتاح جداً.»

« هكذا!» وذهبت إلى المطبخ لتحضر بعض الشراب.

ما ان عادت إلى غرفة الجلوس حتى رن جرس الهاتف للمرة الخامسة في تلك الليلة. امسكت الهاتف وقالت:« اهلاً؟»

« انسة لانغدون، انا بول.» بدا صوته منخفضاً وغريباً، وكأنه قلق ولا يريد ان يسمعه احد... قفز قلبها من مكانه.

قالت بدهشة:« بول!» رفع برينت رأسه.

« اعلم ان الوقت متأخر، لكن علي التحدث معك. فأنا لا ادري ماذا افعل!»

تحرك برينت ليأخذ السماعة من يدها، لكنها تحركت بسرعة مبتعدة عنه وهزت رأسها بالنفي.

قالت لبول:« لا تدري ان تفعل بماذا؟»

« لقد غادرت المنزل ووالدي لا يعرف اين انا وانا خائف جداً لأن اتصل به. لابد انه سيقتلني.»

تنهدت بقوة، وهي تحدق ببرينت، قالت:« لا اعتقد انه سيقتلك. بول. لقد قلق كثيراً عليك. وانا ايضاً قلقت عليك.»

« لقد قمت بعمل غبي. اعتدت على التحدث مع ستيف عن الهروب ومغادرة المنزل. قال لي انه هرب عدة مرات وقام هو بوضع الخطة... وكنت غاضباً جداً من ابي لذلك فكرت...» وتوقف عن الكلام.

« وما كانت تلك الخطة؟»

« ان علي الذهاب إلى منزل أمه في ريتشموند وبعدها نهار الاحد سأهرب بباص إلى ميامي ومن هناك سأختفي في طائرة ستسافر إلى بونس ايريس. لقد قرأ كتاباً عن ذلك وقال انه يعلم كيف تحدث هذه الأمور. لقد رسمنا خريطة للتنقل وكل شيء.»

« وبعدها غيرت رأيك؟»

« ماكان علي الاستماع له! كانت فكرة سخيفة!» تنهد قبل ان يتابع: « كما انني كذبت على جدتي ايضاً.»

قالت: « اعلم . لكنك بأمان الان. اين هو ستيف؟»

« نائم. وأمه في غرفة نومها تشاهد التلفزيون لذلك اتيت إلى المطبخ لاتصل بك. لا استطيع النوم. انني افكر بأبي. احب ابي، انسة لانغدون. لكنه يجعلني اشعر بغضب شديد احياناً. والان لا ادري ماذا أفعل!» كاد ان يبكي وهو يتابع: « انني آسف، انسة لانغدون انني اسف جداً.»

شعرت بغصة في حلقها: « اعتقد ان عليك اخبار والدك بذلك بنفسك، بول.»

« انني خائف.»

« نعم، بالطبع انت كذلك، لكن هل تتذكر حديثنا عن تحمل المسؤولية بشأن اعمالنا؟»

« نعم، لكن كنت آمل... اعتقدت انك قد تشرحين لوالدي

الامر اولا، وبعدها عندما اخبره انا لن يصاب بغضب قوي.»

شعرت بقلبها يعتصر لأجله. انه يثق بها. وهو بحاجة لها: «حسناً، سأفعل ذلك.»

سمعت تنهيدته فابتسمت، قال: «شكراً لك. انت الأفضل! وهل يمكنك ان تقولي له انني في ريتشموند ولا ادري كيف أعود إلى المنزل؟»

كادت زوو ان تضحك. كان يخطط بالذهاب إلى الأرجنتين، بلد، بعيد وفي قارة أخرى. والآن ها هو يبعد عن واشنطن مسافة ساعة واحدة ولا يعرف كيف يعود إلى المنزل. «كيف ذهبت إلى ريتشموند هذا المساء؟»

« لدى والد ستيف ليموزين وسائق. كانت رحلة رائعة.»

« وسمح لك السائق بالذهاب؟»

« يسمح لستيف باصطحاب اصدقائه. وهو يفعل ذلك دائماً.»

« فهمت. حسناً، سأخبر والدك.»

«هل تستطيعين اخباره الآن؟ أقصد، لن تنتظري حتى الصباح، اليس كذلك؟»

« سأخبره في الحال. من الأفضل ان تعطيني رقم الهاتف كي يتصل والدك بوالدة ستيف لترشده إلى المنزل.» سجلت الرقم وتمنت له ليلة سعيدة. اعادت السماعة إلى مكانها، ونظرت إلى برينت، حيث رأت وجهه يطفح بالسعادة.

قالت: « هذا ابنك يعاني من احساس كبير بالذنب والقلق والندم.»

قال بعصبية: « يناسبه تماماً أنه في ريتشموند وهكذا يتسنى لي الوقت كي أهدأ. سأعاقبه كي لا ينسى ذلك أبداً.»

قالت:« هذا لن يساعد في وضعه هذا.»

نظر اليها طويلاً، بعدها اغمض عينيه، وقال:« لا، أعتقد انك علي حق اعتقد ان ما علي القيام به هو التحدث اليه محاولاً أن أفهمه.»

« برينت، اعتقد انك تفهمه جيداً.»

ساد الصمت لفترة، بعدها نهض غاضباً، وقال بعنف:

« هل لديك أية فكرة بما شعرت به عندما تركتنا؟ لأصبح بمفردي مع طفل أمه لا تريده؟ لقد عانيت الامرين! واقسمت انني سأفعل اي شيء لأجعله سعيداً، وان اشعره بأنه محبوب، ليكبر قوياً ولا يشعر مطلقاً بما شعرت به.»

شعرت وكأنها ترتجف وهي تستمع لكلامه. رأت بوضوح ما يحدث بين برينت وبول، وما يريده من ابنه. لا يريد ان يصاب ابنه بالأذى، وان يشعر بالألم. اراد ان يحميه. كان هناك ضيق واضح في صدره من احساس غامض بالندم لأنه لم يفهمه جيداً. كان عليها ان تعلم ذلك. فهو يحب ابنه، كيف بامكانها ان تشك بذلك؟

رأته يبذل جهداً كي يسيطر على عاطفته. نظر اليها وتابع:«لكن لا استطيع ان أقول له ان لا يشعر بما يحس به، اليس كذلك؟»

«لا.»

« جيد، تفهمت ذلك الان.»

ابتسمت له، وهي تشعر فجأة بحب كبير وفرح اكبر:« اذاً حافظ على ذلك المفهوم.»

نظر اليها مبتسماً:« هل هذه نصيحة مهنية؟»

ابتسمت وقالت:« اعتقد انها تدعى احساس عام بالمنطق.»

« هذا جيد، استطيع التعامل مع الإحساس بالمنطق.»

« ما رأيك بمزيد من الشراب؟»

« أستطيع التعامل مع ذلك ايضاً.» بدا الهواء ألطف واخف، وكأن الضباب الكثيف قد تبخر. فبول بحالة جيدة. وكل شيء سيسير على ما يرام. شعرت وكأنها سترقص. ادركت انها تبتسم بدون سبب وهي تعود الى الغرفة.

قدمت له كوباً فأمسك بيدها واجلسها الى جانبه على الصوفا وأمسك بيديها الاثنتين.

قال:« شكراً لك.» وابتسم لها. كانت أجمل ما رأته، تلك الإبتسامة وتلك العينين الزرقاوين المشعتين.

قالت:« لم افعل شيئاً.»

« اه، بلى، فعلت الكثير، كنت هنا، واحضرت لي العشاء واصغيت إلى كل ما قلته ولم تنتقدني، فأنت رائعة.»

الفصل السادس

« صباح سعيد.»

قالت بصوت أجش:« لك أيضاً.» كانت تشعر باحساس غريب، فانوار الصباح تملأ الغرفة. اغمضت عينيها، وهي تشعر بلمسة يده على وجهها تبعد خصلة شعرها.

قال:« صنعت القهوة، اتريدين فنجاناً؟»

فتحت عينيها وقالت:« احب كثيراً القهوة صباحاً.»

احضر القهوة وجلس بقربها شعرت بالفرح لوجوده معها حتى هذا الوقت.

«سألت كم الساعة؟» فهي تشعر بكسل لتستدير وتنظر إلى الساعة المعلقة على الحائط.

« الثامنة تقريباً.»

شعرت بأن القهوة قد ايقظتها تماماً، فتذكرت المساء المخيف كيف امضياه قلقين على بول. الذي هو في ريتشموند، ولقد ذهب إلى هناك بسيارة ليموزين.

سألت:« متى ستغادر إلى ريتشموند لتحضر بول؟»

« بعد ساعتين على الأكثر.»

فكرت ببول وبما اخبرها به برينت. فلمعت فكرة في برأسها. ربماكانت دائماً تفكر بها لكنها ظهرت الآن. كانت فكرة جيدة، وتساءلت لما لم تخطر على بالها من قبل.

قال:« بما تفكرين؟»

التقت عيناهما، وقالت:« لدي فكرة، ارغب في ان يأتي

بول إلى هنا بعد المدرسة حتى عودتك إلى المنزل.»

وضع وسادة وراء ظهره وهز رأسه قائلاً:« لا استطيع ان اطلب منك ذلك، زوو.»

« انت لا تطلب. انني أعرض عليك ذلك. وانا ارغب بذلك، حقاً. عليك أن تسأله، بالطبع، فقد لا يرغب بذلك.»

ضحك قليلاً وقال:« انت تعلمين انه يحب زيارتك. كما وانه، سيقدم على اي شيء كي يتخلص من كريستين.»

قالت ببساطة:« تبدو لي لطيفة وذات شخصية مرحة.» لكنها كانت تشعر بالذنب. فهي تريد ان تعرف ما هو رأيه بها. وهذا السؤال لن تسأله مهما رغبت بمعرفة الجواب.

وضع يديه وراء رأسه وقال:« انها مزعجة، وتوتر اعصابي، ان اردت الحقيقة.»

لما تشعر بكل هذه الراحة؟ عليها ان تخجل من نفسها.

ابتسمت زوو.

« اذاً دعها. وربما هذا سيخفف من التوتر بينكما انت وبول. انتما في صراع قوة، برينت» راقبته وهي تحاول ان تقرأ ملامحه. تردد قليلاً، بعدها قال:« حسناً، لما لا نحاول. لكن اريد ان ادفع لك.»

لاتريد ان يدفع لها. لكنه أصر، قائلاً انه لا نية لديه ان يستغل صداقتها. قالت لن يحدث هذا لأنها هي من فكر بذلك منذ البداية. لكنه قال لن يشعر بالرضى ان لم يفعل.

تنهدت بقوة وقالت:« حسناً، لا بأس اذا كان هذا يرضيك.»

« بالطبع هذا يرضيني.»

قالت بعد قليل:« لدي فكرة أخرى.»

« الفطور.»

«لا.»

« اكاد أموت جوعاً.»

« يمكنك أن تجوع قليلاً بعد. اريدك ان تسمع فكرتي هذه.»

« اعتقد ان لا خيار لدي.»

قالت:« بالمطلق.»

تنهد تنهيدة طويلة وقال:« حسناً، اخبريني ما هي فكرتك المهمة الثانية.»

« اعتقد ان عليك الاتصال بوالدي كاكو في الارجنتين وتطلب منهم ان يفكروا بارسال ابنهم إلى هنا في فصل الصيف. عندما يمكنك ان تأخذه مع بول الى عالم ديزني، او الى الشاطىء، او إلى اي مكان يريدانه.»

لم يعلق على كلامها.

فتابعت:« برينت، لا يمكنك ان تتوقع ان ينسى بول صديقه، وان يقبل ان لا يراه ثانية. فهو لم يمت، كما تعلم.»

قال:« اعلم، اعلم.»

« عليك ان تمدح وفاءه، برينت. انهما يتراسلان بشكل دائم. وهذا أمر غير عادي لأولاد في الثانية عشر من عمرهم. صدقني.»

رفع رأسه وقال:« حسناً، سأتصل وارى ما يمكنني القيام به.»

ابتسمت، فتجهم وجهه وقال:« لاتتفاخري.»

« أنا لست فخورة. فقد لا ينجح الأمر، لكن هذا ما اتمناه. لأن ذلك سيسعد بول.» نهضت وتابعت:« الان سأحضر لك الفطور.»

قال:« لا تدعي شقيقاتك المتحررات يسمعنك، فقد يعتقدن انك مستعبدة.»

ابتسمت وقالت:« اه، حقاً؟ حسناً، الحرية هي الإختيار. وانا اختار بملء ارادتي ان احضر لك الفطور. وهذا ما يسعدني.»

ابتسم لها وقال:« احب هذا النوع من الحرية.»

قالت له بغضب:« لكن لا تكون افكاراً خاطئة.»

لم تشعر بأي احراج من تحضير الطعام له، دخلت إلى المطبخ وهي ترنم بأغنية تحبها، وهي تشعر بالسعادة.

لم يدم ذلك طويلاً.

كانت تسكب القهوة عندما دخل برينت إلى المطبخ، وهو يحمل رسالة نيك مع كل الصور المرفقة بها بيده.

سأل بضيق واضح:« من هو نيك هذا؟»

حدقت به غير مصدقة وقالت:« كنت تقرأ رسائلي؟»

« لا، لم أكن اقرأ رسائلك.. لكن هذه الرسالة كانت ملقاة على الطاولة ببساطة، وهذا القلب الاحمر الكبير مع كلمة«احبك!» بخط كبير. وكأنها قفزت علي.»

لقد كانت هناك طوال مساء البارحة وهو لم يلاحظها. لقد كان هناك ما يشغل باله.

قالت، بصوت هادىء:« نيك صديقي.»

قال ببرودة:« صديق يكتب لك رسائل غرامية. امر مهم.»

آه، تباً. كيف يمكنها ان تشرح له هذا؟ « لم يكن يكتب لي رسائل غرامية. كان .... يمزح، يحاول تسليتي، يؤلف، اي شيء تريد ان تسميه.»

رمى الرسالة على الطاولة لكنها وقعت على الأرض وتبعثرت الاوراق. رأت الصورة الكبيرة المرسومة لهما في الخيمة، وهما يمسكان ببعضهما، وكأنها تتهمها. ساد

صمت ثقيل للحظة. بعدها انحنى ليمسك الورقة ويتفحصها. لم يكن هناك مجال للشك من هي المرأة الممسكة بالرجل. كانت هي، ويستطيع معرفتها بسهولة.

قال بهدوء:« كم هذا رائع، وهذه ايضاً نكتة؟»

شدت على أسنانها وقالت:« نعم.»

« واي نوع من المزاح هي؟»

شعرت فجأة انها يائسة. كل شيء بينهما قد دمر.. الاحساس بالفرح والحنان. ارادت ان تبكي، لكنها قالت بيأس:« فقط اقرأ الرسالة وسترى بنفسك.»

« لا أريد ان أقرأ هذه الرسالة اللعينة! اريدك ان تشرحي لي ما كل هذا!»

« أنا لا ادين لك بأي تفسير بريت.»

« بالطبع.»

حدقت به كيف انه يتقد غضباً وكأنه يملك هذا المنزل، ويملكها. حاولت ان تبقى هادئة وان لا تنفجر غضباً. قالت:«لا يحق لك التصرف هكذا، فمن تظن نفسك؟»

« أنا رجل لا أحب اقامة اية علاقة مع امرأة لها صداقات معينة!»

أجابت :« انا لا علاقة لي مع أي رجل، ليس كما تفكر وليس بصورة عاطفية ايضاً. انا ونيك اصدقاء، هذا كل شيء. عملنا معاً في ذات المدرسة في الكاميرون وبعد أن غادرت بدأنا نكتب الرسائل لبعضنا.» جلست إلى الطاولة وشربت قليلاً من فنجان قهوتها كي تهدأ نفسها، وتابعت:« قال انه يشعر بالوحدة، وقلت له انني كذلك، فاقترح ان نتزوج لأننا نشعر بالوحدة، وطلب مني العودة إلى افريقيا.»

« وهذه مزحة ايضاً؟»

« لم يكن جاداً، بريت! على الأقل، ليس في مجمل الرسالة. بالمعظم كان يمزح.»

« هل تريدين الزواج منه؟»

كيف يمكنه ان يسألها سؤالاً كهذا، حدقت به والدموع تحرق عينيها.

قال:« لا.» وشعرت بغصة في صدرها.

« لم لا، اذا كنتما صديقين حميمين هكذا؟»

« ان تكون صديقاً لشخص لا يكفي كي تتزوجه. ليس هناك اي... انجذاب حقيقي بيننا.»

ليس هناك انجذاب، كما يحدث لهما، هذا الإحساس الذي لا يوصف، الشوق والفرح يملأها ويجعل قلبها يغني.

ساد الصمت. نظرت اليه ونظر اليها، بعدها انهمرت دموعها على خديها. تحرك بسرعة نحوها، وضمها بين ذراعيه ليدفن وجهه بشعرها. قال بصوت أجش:« انا آسف، انا أحمق كبير. لا أدري ماذا حدث لي.» قبل عينيها ومسح الدموع بنعومة باصبعه.« لكنك تعلمين، اليس كذلك، ايتها المستشارة؟»

قالت:« وانت أيضاً.»

« اخبريني.»

قالت بصوت مرتجف:« امضيت الليل هنا واول ما رأيته عند الصباح رسالة رجل عليها قلب كبير وكلمة احبك وصورة لنا في خيمة. كانت تلك كصفعة على وجهك وشعرت بانك جرحت.»

« بصورة مؤقته، فلقد استعدت كبريائي المعتاد وثقتي بنفسي.»

قبلها حتى اختفى كل ذلك الألم والغضب وجعل قلبها يغني ويرقص. وضعت ذراعيها حول رقبته، لقد عاد ذلك الاحساس الذي لا يقاوم.

همس بمرح:« انجذاب غريب.»

* * *

كانت زوو تحرك وعاء كبير من الصلصة الهنغارية، الغني بقطع كبيرة من اللحم والبصل والبهار والثوم، وهي تفكر اذا كان برينت يحب هذا الطعام. نظرت إلى الساعة، سيعود قريباً الى البيت.

البيت، وابتسمت بفرح. يجب ان تخجل من نفسها. فهي تتصرف كزوجة، تطبخ العشاء وتنتظر عودة زوجها للمنزل.

حسناً، وما الخطأ بذلك؟ لا شيء، لا شيء على الإطلاق. وفي الحقيقة يمكنها ان تفعل ذلك حتى آخر حياتها، اذا ما حدث هذا حقاً.

كل يوم، بعد المدرسة، كان بول يصعد الى شقتها، وكان يبدو سعيداً لذلك. فمنذ اليوم الذي هرب فيه، والوضع تغير الى الأفضل. وعندما اخبره برينت ان كاكو سيأتي ويبقى لفترة معه خلال الصيف، حتى انسجم مع نفسه وعاد مليئاً بالفرح والحماس.

كان كل شيء فجأة يبعث على السعادة والمرح. فعاشوا في حياة رتيبة سعيدة كان برينت يصعد إلى شقتها عندما يرجع من عمله ويتناولوا العشاء معاً. كانت تشعر بالسعادة وهي تحضر لهما الطعام، بدلاً من أن تحضره لتأكله بمفردها. وكان من الواضح انهمايستمتعان برفقتها في منزلها المريح والانيق، ولم يعترضا مطلقاً على أساليبها الدقيقة.

في الحقيقة، كانا يبدوان وكأنهما كانا يبحثان عن حياة مستقرة، ويجدان من الصعوبة ان يغادرا.

ربما هذا ما كانا يحتاجان اليه... قليلاً من التعاطف، ووجود إمرأة معهما. وهذا ما تحتاجه ايضاً... التعاطف، الرفقة، الحب، والإحساس بالإنتماء.

لم تستطع ان تمنع نفسها عن التفكير كم يكون الامر رائعاً لو أن وضعهم هذا ليس مؤقتاً. ربما يقرر برينت ان يستقر، على الرغم من خطته ان يسافر خارج البلاد ثانية. ربما قد يطلب منها ان تتزوجه.

آه، كم ان احلامها جميلة ورومانسية! لكنها تعيش في جو من الحب والرومانسية هذه الأيام.

وهكذا أخذت تحلم... بالزواج من برينت وبانشاء عائلة لها، وانجاب شقيق لبول، كانت تنظر اليهما حولها إلى الطاولة وتشعر بقلبها يتسع من الحب. وفي الليالي عندما يمضي بول الليل في منزل جديه، او عند صديق، كانت تخرج هي وبرينت الى العشاء، او إلى حفلة ما او لحضور مسرحية.

لم يكن هناك اي شيء يسعدها اكثر من البقاء قرب برينت وهي تعلم كم تحبه، وتعلم انها ستحبه إلى الأبد.

* * *

اه، فترة الاعياد في آخر السنة! وهذا ما تحبه كثيراً. فالناس تتجول في المتاجر للتسوق... كذلك الموسيقى والانوار والالوان الزاهية تملأ كل الشوارع. الهدايا مجهزة باوراق لماعة وشرائط ملونة. وفوق كل ذلك انها مغرمة. وهذا ما يجعل كل شيء اكثر جمالاً، اكثر فرحاً... وكأن كل شيء يلمع كالذهب.

اتفقوا ان يمضوا ليلة العيد في شقتها. فلقد تلقى والدي برينت دعوة لتمضية فترة العيد مع صديق قديم في سويسرا، وهذا يعني انهما لن يمضيا ليلة العيد في منزلهم، كما كانت العادة. حتى عندما كان برينت في الأرجنتين، كان يصطحب بول إلى واشنطن ليمضي العيد مع عائلته.

قالت زوو ببساطة: «يمكننا تمضية ليلة العيد هنا.» وهي تشعر بالذنب قليلاً لإحساسها بالفرح. لقد قابلت والديه وتناولت العشاء في منزلهم، والذي رأت انه يشبه المنازل التاريخية المليئة بالتحف القيمة اكثر مما هو منزل لعائلة تعيش فيه بمحبة وأمان.

كان والد برينت يبدو وكأنه خارج للتو من قلعة انكليزية، طويلاً وتبدو عليه ملامح الارستقراطية التي يخفيها بلطف حذر. كان يتحرك بأقل حركة ممكنة، وكأنه تحت سيطرة قوية لا تسمح له باستعمال كل عضلات جسمه طوال الوقت. وعيناه زرقاوان مثل عيني ابنه ويبدو انه فخوراً جداً بنفسه.

كانت والدة برينت سيدة لطيفة، بالتأكيد، لكنها ليست من النوع الذي ترغب في وضع ذراعيك حولها ومعانقتها.

وجدوا انفسهم في صبيحة يوم العيد قرب النار المشتعلة، يفتحون الهدايا. هدايا كثيرة. صغيرة وكبيرة ومضحكة. واكثر ما اعجبها كتاب الطبخ الذي قدمه اليها برينت، وكتب على ورقته الاولى: «إلى المرأة التي اعطتني الحرارة والنكهة المميزة وكل شيء جميل.» شعرت بفرح كبير وهي تقرأ الكلمات ونظرت اليه فالتقت عيناها بعينيه اللتين لمعتا بفرح غامض.

بعد ذلك ساعداها لاعداد طعام العشاء. ملأت الرائحة

الشهية للحبش المشوي الشقة. بينما وضعت الفاكهة وفطيرة التفاح على طاولة المطبخ. رتبت الطاولة واضاءت الشموع.

جلسوا حول الطاولة وتناولوا العشاء فرحين. كل شيء كان رائعاً، كل شيء شهي. نظرت زوو حولها، وشعرت بأن قلبها يكاد يطير.

انه افضل عيد عاشته.

• • •

ببطء وبدون وعي منها، اصبحت الاشياء اقل مثالية. لم يكن هناك شيء مميز تستطيع زوو ان تحدده، فقط احساس ان حياتهم هذه غير مناسبة. حاولت ان تدفع ذلك الإحساس بعيداً وتتابع العيش بأحلامها.

حمل كانون الثاني معه رياحاً ثلجية وصقيعاً دائم كذلك شهر شباط لم يكن افضل منه. وبعدما عاشت عدة سنوات في منطقة خط الاستواء. كانت مشتاقة للشتاء... وللجلوس قرب مدفأة حالمة، وهي ترتدي ثياب صوفية، وتشرب الشوكولا الساخنة وتسير على الثلج الناصع. لكن الان اصبحت تشعر انها اكتفت من كل هذا فهي تريد الربيع... والزهور، وحرارة الشمس الدافئة. كانت تشعر بقلق كبير. قلق وخوف لاسبب لهما.

اتصل بها برينت في احد الليالي وهو يعمل في منزله وطلب منها ان تنزل اليه كي تساعده. كانت قد ارتدت قميص نومها، وجاهزة للنوم، فتفاجأت بطلبه. ارتدت روباً ونزلت الدرج إلى شقته.

فتح الباب على الفور. فهو لا يزال مرتدياًبدلة العمل، لكنه

بدون الجاكيت وربطة العنق، كما وانه رفع كمي قميصه. وشعره مبعثر ويبدو التعب على وجهه بوضوح.

سألته ما ان اغلق الباب:« اساعدك بماذا؟»

« انني اعمل على هذا المشروع بجهد كبير ودماغي مشتت. اريد منك ان تصغي، وان تعطيني بعض الافكار والاراء، اي شيء يخطر على بالك.»

تجهم وجهها وقالت:« اي نوع من المشروع هذا؟»

« انه مشروع ضخم بالهندسة المدنية في البرازيل. وهو مثير للإهتمام لكن هناك مشاكل بالتكيف مع هذا المشروع كما ان...»

« انا لا أعرف شيئاً عن الهندسة المدنية، برينت.»

لوح بيده غير موافق:« لقد عشت في البلدان النامية وانت تعرفين الناس هناك كما وانك لم تدعيني اكمل حديثي. وهناك مشكلة كبيرة اخرى أن جزء كبير من المشروع قد تم بدون الاخذ بعين الاعتبار الوضع الإجتماعي وهذا انجاز عديم المسؤولية على الإطلاق.»

قالت:« انت لا تفكر عادة بالهندسة المدنية وبالوضع الاجتماعي في ذات الوقت، لكن ان فكرت بالامر لايمكنك ان تشق الطرقات وتبني الابنية الضخمة في وسط مكان تعيش الناس فيه على الطبيعة وتتركهم كما هم.»

دفعها برفق إلى الصوفا وقال:« تماماً، اجلسي الان واسمعي.» وهذا ما فعلته.

لم يكن هناك من شك انه متحمس جداً، مع كل ما يتذمر منه. وبينماكانت تصغي، علمت بوضوح ان ادارة هذا المشروع الضخم هو ما يريده. وكذلك العمل الجديد المقبل عليه.

استمر في الكلام، ليبدو بوضوح ان هذا ما يفكر به... ان ينتقل هو وبول إلى البرازيل.

شعرت باحساس بالألم في حلقها. نظرت إلى يديها، فلاحظت انها تشد عليهما بقوة في حضنها. اخذت تفركهما بهدوء، وشعرت فجأة انها لا تدري ماذا ستفعل. عقدت يديها على صدرها.

لم تستطع الا ان تسأل:« اذا ربحت شركتك العقد لهذا المشروع، متى ستغادر؟»

« ليس قبل شهر آب او ايلول. فهذا العمل بحاجة لكثير من التخطيط والدراسة. كما وانني، اريد ان ينهي بول عامه الدراسي اولاً.» فتح خريطة البرازيل امامه على الطاولة وتابع:« يحتاج الامر إلى مزيد من الوقت. وقد لا ينجح ابداً، ولن اذهب قبل ان يتم تعديلات مهمة وجذرية على المشروع.»

كان يحدق بالورقة. فأخذت تدرس بعمق تعابير وجهه.

قالت بهدوء:« بتحسن بول باستمرار في المدرسة هذه الأيام. يبدو انه إستقر جيداً.»

« نعم، والشكر يعود لك.» نهض واخذ يفرك رقبته.

« برينت، لكنني اشعر ان اخذه بعيداً والبدء من جديد في مكان ما لن يكون فكرة جيدة له.»

ظهر الضيق على وجهه قبل أن يقول:« لدي عمل لأقوم به. زوو، وسيكون بخير هذه المرة.» قال ذلك بهدوء، لكنها احست بالتوتر في كلماته. فشعرت بالندم لقولها هذا.

« اعلم، انني اسفة. هذا لا يعنيني. فانا لست أمه.»

لم يقل شيئاً، وكأنه لم يسمعها.

حدقت بالسجادة التركية امامها على الأرض. شعرت وان الألوان الزاهية تهتز امام عينيها. سمعت صوت الساعة القديمة، تدق بصوت عال ومزعج.

كم سيكون من الطبيعي ان يسألها، هل تحبين ان تصبحي أمه؟ لكنه لم يسأل.

كم هي غبية لتفكر هكذا. لما افترضت ان احلامها هي تماماً كأحلامه؟ وانه يريد من الحياة ما تريده بالضبط؟

في مكان ما في الخارج، سمعت صفارة رجل شرطي، بعدها سمعت صفارة سيارة اسعاف. فارتجفت فجأة.

سيطر احساس كبير من الخوف عليها... احساس بالضياع. بقيت تحدق بالسجادة. ولا تتحرك، وهي تصغي إلى الصوت يقترب منها.

الفصل السابع

لم ترد زوو الاعتراف بذلك، لكنهما لم يتحدثا مطلقاً عن المستقبل لم يكن هناك اية اشارة بوعد ما.

كانا يتحدثان بأشياء كثيرة... اشياء مهمة، بخصوص العمل، اشياء سعيدة ومحزنة... لكن لا شيء عن المستقبل. وهي تعلم رأيه ومبادئه بأمور كثيرة. وهي تعلم كم هو ديناميكي ومتفهم وعملي، وكم يحب ابنه ويأخذ كل اعماله بجدية، لكنها لا تعلم احساسه الحقيقي وعاطفته، ولا تعلم اين موقعها هي في خطته المستقبلية.

كيف يمكنها ان لا ترى الأشياء؟

رفعت رأسها ببطء. كان برينت يحدق بورقة في يده ويبدو تعباً. هذا الوجه الذي احبته ورأته مبتسماً، وفرحاً، غاضباً ومتحفظاً. اية احلام تختبىء وراء هذا الوجه؟ فهي لا تعلم، وكيف لا تعلم؟

رمى برينت الورقة على الطاولة وقال:« ما رأيك بشراب ما؟» ودخل إلى المطبخ.

« نعم، شكراً.»

حفت وجهها، محاولة التخلص من أفكارها السلبية. قالت لنفسها، عليها ان تكون ايجابية. فالوقت بجانبها. اننا نتحدث عن آب او ايلول.. فلا يزال امامها شهور.

عاد من المطبخ وقدم لها عصير الليمون.

سألته، محاولة ان تبدو عادية:« لما لم تتزوج ثانية؟»

www.elromancia.com

هز كتفيه:« لم يبد لي ان الأمور ستتحسن بهذه الطريقة.»

ربما لم يحب احداً. ربما لا يحبها.

لا،لا انه يحبها فهو لطيف، عاطفي وغير اناني بالمطلق. ربما يحتاج لبعض الوقت. ربما يخاف من الزواج ثانية. تخيلته... عندما عاد إلى منزله... ليجده مقلوباً رأساً على عقب، وزوجته تحزم حقائبها. ابعدت تلك الصورة عن مخيلتها وشربت القليل من العصير. زوجته موضوع آخر لم يتحدثا به مطلقاً.

كان برينت مشغولاً باعادة ترتيب الطاولة، يجمع الأوراق ويضعها جانباً.

قالت:« لا تتوقف عن عملك لأجلي. سأرحل.»

« لا اريدك ان ترحلي، انني سعيد لأنك هنا وساعدتني على التفكير هذا لطف كبير منك.»

همست، محاولة ان تحتفظ بصوتها هادئاً:« انا انسانة لطيفة.»

« اعلم. وانا لا استحق ذلك.»

تمتمت:« صحيح. علي التوقف عن معاملتك بلطف.»

« عليك ذلك، لكن ارجوك لا تفعلي.»

«حسناً.»

« انت سهلة.»

« سهلة ولطيفة وحمقاء. لا أمل لدي. مقدر علي ذلك.» قالت ذلك بخفة لتخفي كل القلق في داخلها.

« مقدر عليك ماذا؟»

همست:« عادات قديمة وسيئة.» محاولة ان لاتعطي اسماً لكل ذلك.

قال:« لا اعتقد ذلك. هل تشعرين بالسوء من ذلك.»

تمتمت:« لا.» ارادت ان تقول، لأنني أحبك، لكن شيء ما منعها من لفظ تلك الكلمة... مرة ثانية. مرات عدة ارادت قولها وفي كل مرة كانت تغير رأيها بسبب خوف غير مفهوم.

اغمضت عينيها، كي لا تفكر.

الشك احساس بشع ومخيف. كان يزحف بشكل دائم في مخيلتها وافكارها، ولايخف ابداً مع مرور الأيام. احياناً وفي منتصف النهاركانت تجلس إلى مكتبها وتشعر بالرعب المسيطر عليها.

انه سيرحل.

سيرحل ببساطة... من دون ان يفكر بها، من دون ان يسالها اذا كانت تريد الرحيل معه. كان يخطط لحياته بمفرده لأنها لا تنتمي اليه.

• • •

قال بول يوماً وهما عائدان من المدرسة معاً:« سيفكر الجميع انك أمي.» من العادة ان يعود إلى المنزل برفقة الاولاد الذين يعيشون بالقرب من منزله، او يبقى في المدرسة ليلعب كرة السلة.

قالت وهي تبتسم:« اعتقد انه ليس أمراً جيداً ان تعود من المدرسة بصحبة أمك.» كانت تدرك تماماً كم يشعر الاولاد بعمره بالإحراج من اهتمام والديهم وكم هو مهم لها ان تبقى هادئة.

قال:« انا لا اهتم.» ودفع بقدمه غطاء قلم ملقى على الطريق.

كان يوماً مشمساً في اوائل شهر آذار، حيث بدأت الاشجار تورق والأرض تكتسي بالعشب الاخضر الجميل. بقي لوك ينظر إلى الأسفل، ويتابع دفع غطاء القلم.

قال:« عندما كنت صغيراً كنت اريد ان يكون لي أم كباقي الاولاد.»

شعرت بألم في صدرها وقالت:« ولم تعد كذلك الان؟»

هز كتفيه بدون اهتمام، ومن غير ان ينظر اليها، قال:« لا، كما وان ابي لن يتزوج ثانية. هذا ما قاله. كنا نتحدث عن ذلك منذ عدة أيام.»

توقف قلبها عن الخفقان للحظة. وشعرت فجأة بغضب عارم. ان شكوكها اذاً حقيقية. فليس لدى برينت اية نية من ان يجعلها جزء من حياته.

حاولت ان تسيطر على غضبها بأية طريقة، مجبرة نفسها على ان تتابع الحديث مع بول قالت:« الزواج مسؤولية كبرى.»

نظر اليها الان، وعيناه تشعان بالأمل:« اعتقدت انه ربما انت وهو ستتزوجان.»

« لما اعتقدت ذلك؟»

نظر إلى البعيد، محرجاً وقال:« لأن... لأنكما تحبان بعضكما... ونحن معاً منذ فترة طويلة.» صمت قليلاً قبل ان يتابع:« انت لست كالأخريات.»

حدقت كالعمياء في الاحجار المرصوفة على جانب الطرقات:« الأخريات.» لم تعلم ان كانت تستطيع تحمل المزيد. لا يمكنها ان تسأله عن هؤلاء « الأخريات» فمن الخطأان تسأل الولد عن علاقات والده، لكنها تستطيع أن تسأله عن نفسها.

دفعت يديها بقوة اكثر في جيبي معطفها، وسألت ببساطة:«لما أنا مختلفة؟»

هز كتفيه وقال:« انت اكثر صدقاً... وانت لطيفة معي... اقصد، كل الاخريات لطيفات معي... لكن...» تنفس بقوة، وكانه يبحث عن الكلمات، ثم قال بسرعة وكأنه يخاف ان يفقد الشجاعة:« اعتقد انك لطيفة معي لأنك تحبينني.»

« أنا فعلاً احبك. وهل هذا غريب؟»

تمتم:« لست أدري.»

« حسناً، انا ادري. انه ليس بغريب ابداً. احبك واحب ان اتكلم معك. والأمر ليس معقداً أبداً.» ضحكت وهي تتابع:«واعتقد انك تحبني ايضاً.»

نظر اليها وقال:« نعم، بالطبع احبك.»

وصلا إلى المنعطف الذي يوصل مباشرة إلى منزلهما فتابعا السير من دون اي كلام.

بقيت الكلمات تلاحقها طوال النهار« ابي لن يتزوج ثانية، هذا ما قاله» ولم تتمكن من النوم ايضاً براحة. في الصباح جرت نفسها من السرير عندما سمعت جرس الساعة، وهي تشعر بتعب وارهاق كبيرين. كان الظلام شديداً في الخارج والامطار تنهمر. لم يبد لها ان نهارها سيكون واعداً.

لكنها لن تنتظر الفرص لتتحدث مع برينت، بل ستفعل، لتخبره بشكوكها ومخاوفها. ستحل مشكلتها فوراً. ستخبره انها ليست فتاة لتمضية الوقت معها وان لم يكن لديه اية نية بان تكون جزء من مستقبله فهي لا تريد ان تكون في حاضره، ايضاً.

اه، كم تبدو شجاعة، لكن معدتها تتمزق من الخوف.

بعد مرور ساعتين وبعد شرب عدة فناجين من القهوة في مكتبها وهي تحل خلاف بين بعض التلاميذ بسبب سوء

تصرفهم في الصف. لم يكن عملها اليوم من افضل انجازاتها وشعرت بالراحة عندما انتهت الحصة وهكذا ستتمكن من ارسال الطلاب إلى الحصة التالية في صفهم. بعد رحيل الاولاد، شعرت وكأن الهدوء نعمة لألم رأسها. رن جرس الهاتف ما ان ابتلعت حبة اسبرين مع ما تبقى من فنجان قهوتها البارد.

برينت. من غير عادته ان يتصل بها في مكتبها فشعرت بقلبها يقفز في صدرها لمجرد سماع صوته، بعدها تذكرت الافكار والكلام الذي ستخبره به الليلة.

سألها:« ما رأيك في اخذ اجازة بعد ظهر هذا اليوم؟»

قالت بهدوء:« فكرة رائعة.»

« الان ودائماً لدي افكار رائعة. ما هو شعورك لو تم الاعتناء بك وتدليلك؟»

حكت رأسها وقالت:« انني جاهزة لذلك.»

« رائع. سآخذك من المنزل بعد خمس واربعين دقيقة.»

وضعت فنجان القهوة جانباً وقالت:« آخذ اجازة من المدرسة فكرة رائعة، لكنني لا استطيع القيام بذلك، برينت.»

قال بلهجة رجل الاعمال المسيطر:« بالطبع تستطيعين. فأنت انسانة مبدعة. ستجدين طريقة. كوني جاهزة بعد خمس واربعين دقيقة.» لم تكن متأكدة ان ما يقوله يعجبها.

سألت:« جاهزة لماذا؟»

« لمفاجأة.»

«كيف اكون جاهزة للمفاجأة اذا لم اعرف ما هي تلك المفاجأة؟»

قال بمرح:« هذه نقطة لصالحك، احضري فرشاة اسنانك وثوب السباحة وجواز سفرك.»

« جواز سفري؟»

« لديك واحد؟»

« نعم! بالطبع لدي جواز سفر!»

« جيد. اراك قريباً.» قطع الإتصال.

صرخت: « برينت. » لكنه كان قد قطع الاتصال.

* * *

كان ذلك حلماً، حلماً رائعاً، مما جعل زوو تخاف من ان تفتح عينيها.

كانت تشعر بفرحة عارمة وان كل حواسها مستيقظة تتحسس الهواء المنعش واشعة الشمس الحارة، والاحساس اللطيف للرمل المنزلق بين اصابعها، وتسمع صوت الموج القوي يضرب الشاطىء.

مازال فمها يتذوق حلاوة المانغا الطازجة والبابايا التي تناولتهما عند الصباح. تنهدت براحة وهي تستمتع بكل ذلك.

لابد انه حلم.

فتحت عينيها بهدوء وحذر، لترى سماء زرقاء ناصعة تمتد امامها حتى الأفق. جلست على مهل وهي تراقب برينت يسير نحو الماء، طلباً للسباحة، قوي ورشيق ووسيم. كانت أشعة الشمس تلمع على شعره الأشقر. وليس هذا بحلم مطلقاً.

البارحة في مثل هذا الوقت كانت في مكتبها في واشنطن، حيث المطر البارد ينزلق على نافذتها، وهي تحاول ان تقنع عدد من الأولاد المشاكسين ان الخلاف بين بعضهم لا يحل لهم اية مشكلة. والآن هي تجلس على شاطىء استوائي تتمتع بحرارة الشمس وتستمع الى حفيف سعف النخيل، وتراقب برينت يختفي في البحر.

كاد كل هذا ان لا يحدث. كادت ان لا تأخذ اجازة. جلست في مكتبها يوم الأمس، وهي لاتزال تمسك الهاتف بيدها، تتساءل ما الذي جعل برينت يظن انه يستطيع ان يأمرها وكأنه سيد ارستقراطي.

بعدها حركت رأسها المتألم، ونظرت من النافذة لترى البرودة والأشجار العارية، ولتشعر ببرودة قدميها، ففكرت، ليذهب كل شيء، انني جاهزة لأية مفاجأة.

ولقد كانت مفاجأة فعلاً.

ضمت ركبتيها إلى صدرها وابتسمت تتذكر. اقلتها سيارة ليموزين للشركة هي وبرينت إلى المطار، حيث استقلا طائرة خاصة نقلتهما فوراً إلى جزيرة جمايكا.

سألت، مندهشة، عندما اخبرها اخيراً إلىّ أين يتجها بعد أن اقلعت الطائرة: «جمايكا؟»

لوح بيده بدون اهتمام: «نعم، هل تعلمين، تلك الجزيرة تقع جنوب كوبا.»

نظرت إليه غاضبة: «اعلم اين تقع.»

امسك بيدها، وضمها بيده الكبيرة وقال: «اجلسي، وارتاحي اعتقد انك تستحقين عطلة اسبوع لكي يعتنى بك ويرفه عنك. لا طبخ، لا عمل، لا اهتمام بالأولاد.»

لن تناقشه بذلك. حاولت ان ترتاح، وهذا ليس بأمر سهل فهي غير معتادة على الذهاب إلى أماكن رائعة بسيارة ليموزين خاصة وكذلك الطائرة.

اخبرها برينت ان عائلته تملك منزلاً في الجزيرة، كبير ولديه قسم من الشاطىء خاص به كما ان هناك خدم فيه بصورة دائمة..

كان هذا المنزل ملك لعائلة امه منذ اكثر من مئة وخمسين عاماً ولقد كان في مامضى مشهوراً بزراعة قصب السكر.

قالت: «لم أكن اعلم، لم تخبرني بذلك من قبل.»

ابتسم ابتسامة صغيرة، وقال: «لا يأخذ تاريخ العائلة القديم اية اهمية في تفكيري.»

كان المنزل في تلك الأرض الواسعة جميلاً جداً، لونه ابيض ومليء بالنباتات الخضراء الكبيرة. يبدو وكأنه معد لتصوير فيلم سينمائي بشرفاته العالية والواسعة ومفروشاته المريحة والنباتات المليئة بالازهار في كل زاوية. في الداخل كان الهواء بارداً ومنعشاً والنوافذ الخشبية مفتوحة ليدخل نسيم البحر. الارض الخشبية والمفروشات من الخيزران والاقمشة كلها ملونة ومليئة بالأزهار لتعطي الغرفة الجو الإستوائي. رأت غرف النوم الواسعة والمريحة وفي داخلها غرف للحمام مع مناشف ناعمة ومطرزة باكملها. اتت خادمة لطيفة لتساعدها. «هل تريد الانسة ان تكوي ثيابها؟ هل تريد الانسة ان يجهز لها الحمام؟ هل تريد الآنسة...؟»

قصة من الأحلام والخيال. ابتسمت زوو وهي تضغط بأصابع قدميها على الرمال الناعمة، وهي تنظر إلى لمعان الماء كالفضة. خرج برينت من البحر فاتسعت ابتسامتها. فهي تحبه وتحب رفقته.

تبدو واشنطن بعيدة جداً الان، قلقها وخوفها غير موجودين الان. فحنانه واهتمامه ابعدهما بعيداً. لا مجال للشك او الخوف.

فكرة لمعت برأسها. ربما لدى برينت خطة ما. ربما... اغمضت عينيها واخذت تفكر بالأمل. ربما...

كانت الفكرة خطرة ودقيقة جداً، لكن الفرح والحب جعلاها تحلم بها.

ربما سيسألها ان تتزوجه.

اخذها في جولة على الجزيرة حتى آخر النهار، ليريها القرى الصغيرة والاماكن الرائعة التي كان يلعب فيها عندما كان طفلاً. وتذوقا الطعام الذي يحبه، في مطاعم صغيرة منتشرة على جانبي الطرق، وشربا الشراب الخاص بجزيرة جمايكا.

وبعد ان راقبا غروب الشمس على الشاطىء الكاريبي، اخذها إلى مطعم قرب الشاطىء يضاء بقناديل على الكاز. استقبلهما نادل ضخم وقدم لهما الدجاج المدخن. كان الدجاج مطبوخاً بالصلصة الحمراء المضاف اليها الكثير من الحر والبهار، فشربا عدداً من الكؤوس الغازية لتخفيف حرارة الطعام.

في صباح اليوم التالي قدم لها الفطور على صينية عليها غطاء زهري اللون وبشكل صدفة. نظرت زوو إلى الرفاهية الواضحة. فكل اواني الطعام من الفضة الخالصة وابريق القهوة على شمعة منارة كي يبقى ساخناً، وباقة صغيرة من الزهور المنعشة، كرواسان ساخن. وطبق كبير من الأناناس والبابايا الطازجة المقطعة.

انه نقيض رائع للطعام الحار الذي تناولاه البارحة.

تناولا الطعام وهما يضحكان. يا للروعة. قالت زوو، وهي تمد امامها ساقيها وتجلس على المقعد الوثير: «اه، ما كل هذه الرفاهية.» لم يحدث لي هذا من قبل.»

ابتسم برينت لها. فمدت يدها وامسكت بيده.

قالت بنعومة: «اخبرني المزيد عن اسرارك الباقية.»

رفع حاجبيه وقال: «اسراري؟»

«كالمنزل، وحقيقة أنك كنت تأتي إلى هنا عندما كنت طفلاً وتعلمت الابحار والتزلج على الماء.»

«لا اسرار لدي.»

بدأ قلبها يخفق بقوة، قالت بهدوء: «لكن هناك أشياء كثيرة لا تريد التحدث عنها.» سمعت صوتاً في داخلها يقول توقفي! توقفي! توقفي! الخطر قادم!

قال ببساطة: «ليست كل المواضيع عناوين جيدة للحديث والنقاش.» لمس خدها وتابع: «تريدين الخروج أم البقاء هنا للقراءة قليلاً؟»

التهرب من الموضوع. في الواقع، شعرت بالراحة، فهي لا تريد التحدث عن زوجته وعن زواجه... او ان تحرك في داخله احزانه القديمة وذكرياته التعيسة. لا تريد التعامل مع الظلال الموجودة دائماً في عينيه. ليس الآن. في وقت آخر.

قالت: «اشعر بأنني كسولة قليلاً. لنقرأ.»

امسك برينت بصحيفة هيرلاد تريبيون. لم تكن زوو بمزاج لتقرأ عن الفيضانات والمجاعة والحروب الاهلية التي تغزو العالم، لذلك امسكت مجلة عن السفر اخذتها معها من الطائرة. رأت صوراً رائعة، لكنها لم تقرأ عن مقالات عن اعظم الفنادق في العالم، وعن أفضل الاماكن للغطس، بعدها لمع فجأة امام عينيها قصة سفر في ارجاء البرازيل.

اضطربت قليلاً. برازيل. نظرت إلى المقالة مطولاً، بعدها وضعت يدها على ذراع برينت: «انظر، هنا، مقالة كاملة عن البرازيل.»

نظر اليها وقال: «وعما تتحدث؟»

قالت، محاولة جهدها ان تبقى هادئة:« انها قصة سفر وسياحة ومعلومات عن الفنادق، والشاطىء، واين يمكنك ان ترى حيوانات مفترسة كالنمر وكيف تنتبه كي لا تجرفك تيارات الأمازون.» وضعت المجلة جانباً وسألت:« ما هي آخر أخبار مشروعك؟» شعرت فجأة وكأن قلبها يضرب بسرعة، لا تعلم ان كانت حقاً تريد معرفة ذلك، شعرت فجأة أنها وضعت قدميها في رمال متحركة.

«لقد قدمنا الاسماء المحتملة ومصادر داخلية اخبرتني اننا من أفضل الشركات التي قد تربح العقد.» وعاد ليتابع قراءة جريدته.

حدقت مجدداً بالمجلة، جمال البرازيل يزعج عينيها. سكبت لنفسها فنجان قهوة آخر ورشفت قليلاً منه بصعوبة فهي تشعر بألم في معدتها.

لقد كانت مخطئة. مخطئة بشكل مروع. فالأمل حملها بعيداً كي لا ترى بوضوح، كي لا تميز ماتراه. لقد ضحكت على نفسها لن يسألها كي تأتي معه. ومن المؤكد لن يطلبها للزواج. عطلة الاسبوع الرائعة هذه لا تعني له شيئاً إلا عطلة اسبوع رائعة، حدث في الحاضر لا علاقة له مطلقاً بالمستقبل.

فكرت، لا أستطيع الاستمرار هكذا. علي التحدث معه! ارتجفت يدها وهي تضع فنجان القهوة جانباً.

قالت بصوت بدا غريباً لها:« برينت؟»

نظر اليها، متجهماً:« ما الأمر؟»

قالت لنفسها، كوني هادئة، ولا تضطربي« اريد أن أسألك سؤالاً.»

وضع الجريدة، جانباً وقال:« وما هو؟»

نظرت إليه. كم تحبه، قالت:« اذا ربحت شركتك العقد، هل تخطط بالذهاب الى البرازيل لتستلم بنفسك ادارة المشروع؟»

« بالطبع.»

شعرت وكأنها ترتجف، لكنها سمعت صوت عصفور يغرد في الخارج. فقالت:« هل هناك اي دور لي في خطتك المستقبل؟ هل تفكر بطريقة ما ان تسألني الذهاب معك ومع بول إلى البرازيل؟»

www.elromancia.com

الفصل الثامن

ساد صمت ثقيل في ارجاء الغرفة. اسوأ صمت عاشته زوو، وهو واضح اكثر من اي كلام. انه يصرخ داخل رأسها، يبدد احلامها وامانيها. نظرت إلى وجهه، وجه قوي ووسيم احبته بقوة، فجأة اصبح غريباً وغير مفهوم.

قال بصوت هادىء:« لديك حياة في واشنطن. لديك بيت رائع يشبه العش للعصفور، عملك، اصدقاءك. لقد استغرقت كما خططت تماماً. وهذا كل ما اردته. اليس كذلك؟»

شعرت بصدمة قوية، هي لاتريد ذلك، لا.

قالت وهي تنظر اليه:« لكن لن يكون الامر كما هو الان بدونك.»

قال:« اعلم، لكن علي الرحيل.» ونهض مبتعداً عنها.

شعرت بألم قوي في داخلها. الم حاد وقاس. انه يتهرب منها الان..بدت تلك الخطوات كأنها هوة عميقة بينهما. ارادت ان تشعر به بقربها أن يحبها ويتفهمها. وهذا ما لاتجده الان والغرفة الجميلة المشعة بدت فجأة مزعجة والنور المشع يؤلم عينيها.

كيف تمكنت من ان تبقى هادئة، ومنطقية، بينما كل شيء في داخلها يتحطم؟ قالت:« لقد اصبحت انت وبول جزء من حياتي، برينت.»

قال كرجل أعمال مهم وبحدة:« نعم.» وابتعد اكثر ليقف امام النافذة المفتوحة، وقد أدار ظهره لها.

اختلطت عواطف من الرفض والغضب والحزن في داخلها وهي تحدق به، لتعلم بحدس يائس انهما على وشك الانفصال نهائياً.

قالت:« لقد اصبحت متعلقة بك كثيراً... عاطفياً. ولا اعتقد انك تريدني حقاً ان اهتم بك بجدية.» لم يجبها. حدق في الخارج وكأنه لم يسمع سؤالها. ومن خلال الصمت السائد كانت تسمع بوضوح هدير الموج.

شعرت بالدموع تتجمع في عينيها فشدت على يديها بقوة، وقالت:« اعتقد ان علينا التخلي عن بعضنا، برينت.» لم تكن هي التي تتكلم، ولاجسدها الذي يرتجف.

للحظة بقي هادئاً وصامتاً، بعدها استدار ليواجهها، نظر اليها بتجهم واضح. وسأل بصوت مضطرب:« وما الخطأ فيما نحن فيه الآن؟ لما لا نستطيع البقاء هكذا؟»

شعرت بالألم وقالت بصوت مخنوق:« لأنه لا يكفي. لأنني.... لأنني لا أشعر ان هذا يناسبني.»

قال بصوت قاس:« وما السبب الذي يجعلك تشعرين هكذا؟» كان غريباً، شخص غريب غاضب له عينان باردتان، فشعرت وكأن قلبها يتحطم.

« برينت، ارجوك، لننهي الامر. لا تدعنا نسيء إلى بعضنا اكثر من ذلك.» دفعت شعرها إلى الوراء. فهي بحاجة لتتنفس.

قال بغضب وعيناه تشتعلان بنار باردة:« اريد ان اعرف سبب احساسك!»

شدت على يدها بقوة وقالت:« اشعر وكأنك استغليتني.» قالت تلك الكلمة البشعة، لتشعر بمرارتها في فمها.

قال بغضب كانفجار عاصفة:« استغليتك؟»

قالت يائسة:« لا اجد كلمة أخرى لما يحدث.» ضمت يديها الى صدرها فهي بحاجة لتشعر بأنها محمية. فكل ما حولها يعطيها الاحساس بأنها سقطت في فخ كبير، تابعت:« انت تحب رفقتي، وبول ايضاً. لكن ظل هذا الإحساس يراودني، انك.... انك لا تأخذ الامر على محمل الجد. وان علاقتنا علاقة عابرة وانت تستمتع بها، لكنها ليست ذات أهمية.»

« لم أجبرك على هذه العلاقة.»

ارتجفت من كلامه وقالت:« لا، لم تفعل. لقد رضيت بها بارادتي ودخلت بعينين مفتوحتين واسعتين.»

عينان مفتوحتان لكن لا تريان شيئاً. تابعت بصمت.

تنفست بعمق وتابعت مجبرة نفسها على الكلام:« لكنني أعلم الآن أنني اخطأت. فهذه العلاقة ليست ما أريده في حياتي ولهذا على الإبتعاد عنك. فانت لا تريدني... في حياتك.»

« لكنك في حياتي، تباً زوو.»

« في الوقت الحاضر.» سكتت عن الباقي، حتى تجد عملاً آخر وتنتقل اليه.

قال وقد فقد صبره.« ماذا تريدين؟»

شعرت بغضب قاتل يسيطر عليها.« ماذا تريد» وكأنها تطلب زوجاً من الاقراط يمكنه ان يسرع لاحضارهما حاولت ان تبقى هادئة، مجبرة نفسها كي تنظر إلى عينيه قبل ان تقول:« برينت، انا لا اريد منك شيئاً. انا لا اريد ان أسأل اريد فقط ما يقدم لي مجاناً.»

رفع حاجبيه وقال:« وما اقدمه لا يكفي؟»

«لا.»

قال بصوت مليء بالكراهية والإشمئزاز:« انت تريدين الزواج والاطفال وكل ما تبقى .» وكأن هناك ما يسيء ان ارادت الزواج والاطفال.

« لا.»

« لا؟»

« لا! لا اريد الزواج والاطفال من اجل الزواج والاطفال. اريد الحب والإرتباط الابدي، لكنني ادرك جيداً ان هذا شيء لا يطلب او يشترى. كما انني اعلم انك لا تملكها لتقدمها لأحد.» لم تستطع ان تكمل وانفجرت دموعها، تنهدت وتابعت بصوت مرتجف:« يؤسفني ذلك، ليس هناك ما استطيع القيام به إلا تقبل الامر والتعامل مع الواقع. وهذا ما احاول القيام به مع احساس بالنضج والعقلانية.»

وضع يده في جيب بنطاله وقال:« كم كنت نبيلة ومثالية! كم أنت منطقية وعقلانية! حسناً، كان علي توقع ذلك! أنت وحياتك المنظمة ومبادئك الواضحة كيف يجب ان نعيش الحياة! وهكذا انا لا اناسب احلامك بزوج المستقبل ولا اناسب حياتك الأليفة والمريحة. ألم تسمعي يوماً بالتناسب؟ او بالتوافق؟ لن تجدي ابداً ما تريدينه في الحياة، هل تعلمين، انت تعيشين ضائعة في عالم الخيال. دعيني اقول لك شيئاً، زوو. الحب والإرتباط وهم في الحياة، وخذيها هذه نصيحة من انسان مجرب.» توقف عن الكلام بصورة نهائية وخرج من الغرفة ليصفع الباب وراءه بقوة.

جعلها غضبه الصارخ ترتجف ليس هذا ما توقعته... ليس كل هذا الغضب والانفعال. حاولت ان تقوم بذلك من دون ان

تغضبه، من دون ان تضغط عليه. حسناً، لم تنجح بذلك. فكل ما تعلمته وكل تجاربها في الحياة ليست كافية. فكرت بغضب ، لتذهب ثقافتي إلى الجحيم! ونهضت واقفة بغضب. كل ما تريده الآن ان تلحق به لتصرخ بوجهه، ولتسبب له الألم كما فعل بها. تريد ان تضربه وتمزق صدره كامرأة تعيش في الكهوف حتى تتخلص من كل هذا الألم في داخلها.

هذا ما تريده من داخل اعماقها. لكنها لن تفعل ذلك، فهي بالنهاية ليست امرأة تعيش في الكهوف.

وعلى ساقين مرتجفتين ارتدت ثيابها وجمعت اغراضها. ارادت الرحيل. فليس هناك أسوء من العيش بخيبة أمل وحزن في رحلة. لو فقط يمكنها الوصول إلى المطار في كنغستون. يمكنها السفر على متن طائرة تجارية وهكذا تصل إلى منزلها عند المساء. وهكذا ستمضي عدة شهور وهي تحاول دفع بطاقة سفرها. لكنها لن تهتم. رأت أمامها مفاتيح سيارة برينت على الطاولة.

وبقربها بعض القطع النقدية والفواتير. ستتصل به من المطار لتعلمه انها اخذت السيارة. التقطت المفاتيح وقلبها يخفق بقوة.

فتح باب الغرفة ليدخل منه برينت وقد استحم وبدل ملابسه.

التقت عيناه بعينيها وقال:« لا تفكري حتى بذلك، انا من احضرك إلى هنا وانا من سيعيدك.» اقترب منها وامسك يدها فتركت المفاتيح على الفور.

اعادهم إلى الطاولة ولم يبعد عينيه عن وجهها، وقال بصوت مضطرب:« لم اكن ادرك انك شعرت بذلك.»

شدت على أسناها قبل أن تقول:« انت من جعلني اشعر هكذا. جعلتني اشعر انك.... مهتم بي لأنني متوفرة لك واناسبك. وكل ما عليك القيام به هو ان تمسك بالهاتف نهار الجمعة حتى أركض اليك، من دون ان اعرف ماذا يدور في خاطرك. انني اشعر بالأسى على نفسي!»

شيء من الألم والحزن ظهر على وجهه، وقال وهو يضع يديه على ذراعيها:« زوو....»

قالت بصوت قاس:« لا تلمسني، برينت.»

كل التعابير غادرت وجهه ليعود قاسياً وبارداً، قال:« كما تشائين.»

* * *

لم تعلم كيف تمكنت من ان تمضي ما تبقى من النهار من دون ان تنهار. كانت الشمس مشرقة والأزهار متفتحة بكل الألوان والعصافير تغرد. كل ما حولها جميل وسعيد، يهزء من حزنها ويأسها.

استقلا الطائرة بعد الظهر وطالت المسافة والوقت وهما عائدان إلى واشنطن. اشغلا نفسيهما بقراءة الكتب والمجلات، ولم يتحدثا مع بعضهما إلا نادراً، مثل الأشخاص الغرباء.

وبينما كانت تحدق وبدون ان ترى في احدى المجلات امامها، بقيت ذات الاسئلة تكرر نفسها في فكرها تكراراً وتكراراً. ماالذي جعلها تعتقد ان شيئاً ما سيحدث من جراء هذه العلاقة؟ ما الوهم الكبير الذي جعلها تعتقد ان رجلاً مثل برينت سيرغب بالزواج منها؟ شخص يستطيع طلب طائرات خاصة له، رجل ولد من عائلة غنية، ووريث لشركة كبرى.

علمت ما الذي أثر بها. الحب. انه الحب الذي يجعل كل شيء ممكن، الحب يحقق كل الأحلام.

الحب يجعلك تفقد عقلك.

ولم تتساقط دموعها إلا عندما استلقت اخيراً في سريرها في شقتها الخاصة في وقت متأخر من تلك الليلة.

* * *

مرت الأيام مملة وبدون نهاية، وهي تحاول جهدها ان تنام في الليل. والشيء الوحيد الذي خفف عنها، ان برينت سمح لبول ان يستمر بالصعود إلى شقتها بعد المدرسة، لكن عندما يعود والده إلى المنزل كان بول يغادر ويتركها لتتناول عشاءها بمفردها.

لفترة بدت لها شقتها انيقة ودافئة ومريحة. أما الان، وبدون برينت، اصبحت باردة وفارغة رغم انها لا تزال مليئة بالأشياء الجميلة التي يسعدك ان تراها، او تجلس عليها، او تقرأها، تلمسها فما زالت الجدران مليئة باللوحات الملونة كذلك رؤية المحتويات والمقاعد الجلدية والوسائد الضخمة الوثيرة، ومكتبة كبيرة تغطي حائط بأكمله. انها لا تزال تتمتع بهم لأنهم مشوقين او مريحين. انها تتمتع بهم، لكن لا يعطونها السعادة. من المؤكد انها كانت تعلم ذلك دائماً.

فالمشكلة بالمنازل ليست الاشياء فقط. بل الناس الذين تتشاركين معهم في ذلك المنزل وهذا هو كل الفرق.

* * *

قال بول بحماس وأهمية:« لقد فكرت ماذا سأفعل عندما أكبر.»

قدمت له زوو كوبا من شراب الشوكولا وقالت:« عظيم، قل

لي اذاً.» لقد امضيا معاً طوال النهار. فلقد اقفلت المدرسة بسبب ثلوج غير متوقعة في أواخر شهر آذار، حيث رمى بثقله على كل المدينة. امضى بول عدة ساعات في الخارج مع الأولاد، يلعب ويصنع رجال الثلج. ثم ذهب إليها ليتدفأ وليقرأ كتاباً.

قال:« اعلم ماذا سأصبح. اريد ان اعمل بحماية الحيوانات المهددة بالإنقراض، في اماكن مثل إفريقيا او البرازيل في الأمازون. كتبنا انا وكاكو عن ذلك وهو يريد ان يعمل في ذات المجال. لقد قرأت عن ذلك في كتاب اعطيتني اياه في العيد ولقد رأيت الكثير من الافلام عنه في التلفزيون.»

قالت:« هذا عمل مهم جداً.»

هز رأسه بجدية:« علينا ان ندرس جيداً، ايضاً، وعندما يسمح لي في العمل، اريد ان أعمل في الصيف في حديقة الحيوانات، حتى أعتاد على ذلك، كما تعلمين.»

« يبدو ذلك خطة جيدة.»

« وبعد ان انتهي من المرحلة الثانوية سأدخل الجامعة لادرس عن عالم الحيوانات وكيفية معاملتها والمحافظة عليها... ما اسم هذا النوع من الإختصاص؟»

« عالم في علم الحيوان.»

هز رأسه وقال:« نعم، وكاكو ايضاً. وسنعمل معاً عندما نصبح كباراً.»

وبدأ يشرح لها وهي تصغي، من الواضح، ان لديه الكثير من الأفكار. وهذا أمر مؤثر. شعرت بالسعادة من حماسه ومن البريق الواضح في عينيه. لم يكن سعيداً مؤخراً، فقد شعر بالإنزعاج بسبب التغيرات في علاقتها مع والده

وحقيقة انهما لا يتناولون الطعام معاً عند المساء ولا يمضون أوقاتاً معاً هم الثلاثة سبب له الحزن.

« ماذا قال والدك بشأن ذلك؟»

لمع التردد في عينيه وقال:« لم أخبره بعد. اردت اخبارك اولاً وارى ما هو رأيك بذلك.»

شعرت بحنان كبير وقالت:« أعتقد انها فكرة رائعة، وانك فكرت بها حقاً وبواقعية.»

لمعت عيناه بفرح وازداد وجهه حماساً وهو يقول:« اعتقد ان ابي سيعجبه ذلك، ايضاً.»

« اني متأكدة سيفعل .» قد يغير بول رأيه عشرات المرات قبل ان يصبح في الجامعة، لكن هذا لا يهم. المهم الان ان لديه هدف واضح، وشيء يعطيه الحماس والرغبة في العمل لأجله.

اشار إلى الكتاب الذي يقرأه وقال:« هذا كتاب رائع. وكدت ان انتهي منه. بعدها سأعود إلى الخارج كي اجرف الثلج عن الطريق.»

قالت زوو:« سأبدأ الان، فأنا بحاجة لبعض الهواء النقي.» لقد امضت النهار كله في المنزل وهي تشعر بعدم الراحة.

قال بتعاطف:« سأذهب معك الآن، اذا اردت، يمكنني انهاء الكتاب فيما بعد.»

« لا داع. فقط تعال عندما تنتهي.»

خرجت زوو وتنفست بعمق الهواء البارد المنعش، اخذت تعمل بجد لتبعد الثلج عن الدرج الموصول إلى المبنى. لم تعد تتذكر كم يكون الثلج ثقيلاً. حسناً، ان ذلك لتمرين جيد. عليها البقاء مشغولة، لكي لا تفكر ببرينت. انها بحاجة

لتفكر بعمل ما جديد يثير حماسها لتبقي نفسها بعيدة عن كل هذا الألم.

تنهدت بعمق. فهي لا تعلم كيف ستتمكن من تمضية الشهور الستة الباقية وبرينت يعيش بقربها هكذا. عليها ايجاد طريقة ما . وبارادة اكبر دفعت الرفش داخل الثلج وهي تقول لنفسها. توقفي عن التفكير ببرينت. توقفي عن التفكير....

توقفت سيارة أجرة أمامها وخرجت منها امرأة، ترتدي معطفاً كبيراً من الفرو وبنطال احمر مع حذاء طويل اسود. وجهها صغير ولها عينان واسعتان بلون رمادي فاتح. وكانت تحمل بيدها هدية.

قالت زوو بصوت بارد:« اعذرني، هل السيد سنكلير يعيش هنا؟»

هزت زوو رأسها:« نعم، لكنه ليس هنا الان.» ونظرت الى وجهها الجميل وإلى الغمازة في خدها الايسر، ولم تدري لما شعرت فجأة بانزعاج غريب. من هي هذه المرأة؟ لقد قطعت علاقتها مع برينت منذ اسبوعين وهاهي الان امرأة تقف ببابه. حسناً، هذا لا يعنيها، اليس كذلك؟

تجهم وجه المرأة وقالت:« اعتقدت انه سيكون في المنزل بسبب الثلج.»

شدت زوو الشال حول رقبتها واجابت: «قليل من الثلج لن يمنعه من القيام بما عليه فعله.»

ظهرت ابتسامة على وجه المرأة وقالت:«لا، بالطبع لا. كان علي معرفة ذلك. أليس كذلك؟»

لم يكن لدى زوو اية فكرة عن معرفتها بذلك، لكنها توقعت انه الجواب المناسب. كان هناك شيء بارد في ذلك الوجه الجميل، اعطى زوو احساس بعدم الرضى.

« هل تعلمين متى يعود؟»

« حوالي السادسة. اتريدين ترك رسالة له؟» فبعد كل شيء هي انسانة منطقية متحضرة. فبإمكانها أن تكون لطيفة.

ابتسمت وقالت:« انا جارته. اعيش في الطابق الثاني.»

ساد صمت قصير بينما حدقت بها المرأة جيداً، قبل أن تقول:« انا لورين، زوجته.»

الفصل التاسع

توقف قلب زوو عن الخفقان، زوجة برينت. شعرت وكأن الهواء قد تجمد في حلقها وان جسدها قد تجمد. بعدها شعرت بدقات قلبها تزداد اضطراباً وبصدرها يعلو ويهبط بقوة. شدة على قبضتها حول رفش الثلج، محاولة ان تستجمع قوتها. واجبرت نفسها على النظر إلى المرأة.

«سأقول له أنك اتيت.»

ابتسمت المرأة تلك الإبتسامة الباردة التي لا تصل إلى عينيها:« حسناً، ربما استطيع التحدث إلى بول اذاً. اريد ان اقدم له هذه. فعيد ميلاده الاسبوع القادم.»

سمعت انذار خطر في اذنيها. ورأت انوار حمراء في كل مكان.

قالت بصوت هادىء:« بول ليس في المنزل، ايضاً. انه في منزل احد اصدقائه.» كلامها صحيح. فهو في شقتها.

وهو سيأتي قريباً ليساعدها في إزاحة الثلج ما ان ينتهي من قراءة كتابه. شعرت برعب حقيقي. فهي لا تريد ان يقابل هذه المرأة التي تدعي أنها أمه.

انها أمه. لقد تعرفت على هاتين العينين في الصورة، وعلى غمازة الجمال على خدها الايسر ورأت خصلة من الشعر الأسود تحت المعطف السميك.

من المؤكد انها المرأة في الصورة في غرفة بول.

قالت:« اذا كنت تريدين، سآخذها واعطيه اياها عندما يعود.» وهذه كذبة ستعطيها لبرينت وتدعه يقرر ماذا سيفعل

بها. اجبرت نفسها على الابتسام. فلم تستطع. ربما بسبب البرد. فشعرت وكأنها ترتجف.

قالت ببساطة:« يصبح الجو اكثر برودة كل دقيقة.» لم ترد ان تلاحظ المرأة انزعاجها وقلقها.

ترددت المرأة، وظهرت عليها مظاهر التفكير الجدي، وبعدها قالت:« سأعود لاحقاً. ارغب في تقديمها له بنفسي شكراً لك بكل الأحوال.» استدارت وعادت إلى سيارة الاجرة، وقالت قبل أن تغلق الباب:« اه، هل تخبرين برينت انني سأزوره في مكتبه في اليومين المقبلين.»

أومأت زوو وقالت:« سأخبره.»

اغلقت المرأة الباب وانطلقت السيارة مبتعدة. بدأت زوو ترتجف وهي تحدق بها. ما ان وصلت إلى المنعطف حتى فتح الباب الامامي وخرج بول منه، وهو يرتدي معطفاً سميكاً اتقاء للبرد.

«لقد انتهيت! واوو، احب هذا الثلج.» وصل إليها وامسك بيدها ليأخذ الرفش. تجهم وجهه وتابع:« تبدين مريضة! هل أنت بخير؟»

قالت بعد بذل جهد كبير:« فقط اعاني من البرد، هذا كل شيء.»

« عودي إلى الداخل، اذاً. يمكنني انهاء ذلك بمفردي. كما واننا لانملك إلا رفشاً واحداً.»

« أنت ستعمل على جرف الثلج عن جوانب الطريق وانا سأنظف الدرج بالمكنسة.»

شعرت فجأة برؤية مخيفة وكأن السيارة ستعود، وان تخرج المرأة لتتحدث مع بول. او اسوء من ذلك. تأتي برجال يخطفونه بعيداً. اه، كفى. هذا جنون.

رددت ثانية في فكرها وهي تنهي تنظيف الدرج.« انا لورين زوجته.» وكانت في هذه الاثناء تحضر شراب الشوكولا لهما بعد ان عادا الى الداخل. بقيت الكلمات تضج في رأسها وهي تسقي نباتاتها وهي تطبخ حساء الفاصوليا لتتناوله على العشاء.

اعتقدت أن برينت قد طلق زوجته، لكنها تفكر بالأمر الان، وهي لا تتذكر انه قال لها ذلك. لقد رحلت زوجته عندما كان بول طفلاً، ومنذ اكثر من اثني عشر عاماً. لكن ما الذي حدث بعد ذلك؟ لم يخبرها ابداً. لم يتحدث يوماً عن زوجته.

قالت لنفسها، هناك دوماً وجهان للقصة. هذا صحيح، لكنها لا تستطيع انكار الحقيقة ان لديها مشاكل ان صدقت وجهة نظر لورين او تعاطفت معها... ليس الان، بعد ان قابلتها اليوم، ورأت تلك النظرة الباردة في وجهها الجميل، فارتجفت بالرغم عنها.

عليها اخبار برينت ان لورين اتت لزيارته وارادت رؤية بول. لكنها لا تستطيع الاتصال به الان في مكتبه وبول يجلس بقربها. عليها الإنتظار حتى عودته عند المساء، والاتصال به ليصعد اليها، وهكذا لن يسمع بول شيئاً.

كانت تشعر بقلق غريب في الوقت الذي دق الجرس فيه مرتين كإشارة ان برينت قد عاد إلى المنزل وهكذا يتمكن بول من المغادرة إليه.

اعطته مهلة خمس دقائق، بعدها اتصلت به وقلبها يرتجف بقوة. قالت عندما اجاب:« هذه أنا. واريد التحدث معك على انفراد. فالأمر عاجل.»

ساد الصمت قليلاً، وقال:« ماالأمر؟»

« لا استطيع التحدث على الهاتف. اصعد الي، واترك بول في المنزل. اغلق الباب جيداً وقل له ان لا يسمح لأحد بالدخول.»

« زوو ! ما الذي يجري؟»

« افعل ما قلته لك، ايمكنك ذلك؟» واقفلت الهاتف، وهي ترتجف.

وصل إلى منزلها بسرعة البرق، قال:« ما كل هذا؟»

كان يبدو وسيماً جداً. مما جعل دقات قلبها تتسارع. فهي مشتاقة اليه. تنهدت وقالت:« في فترة بعد ظهر هذا اليوم، بينما كنت في الخارج اجرف الثلج. اتت امرأة في سيارة أجرة لمقابلتك. لا أعتقد انها تفكر انك تتوقع رؤيتها.»

تجهم وجهه وقال بفقدان صبر:« ومن تكون؟»

غصت قليلاً قبل أن تقول:« زوجتك.»

« زوجة من؟»

« لقد سمعتني. لورين، زوجتك.»

اختفى اللون من وجهه، وقال:« اي نوع من المزاح هذا؟»

« لا مزاح. كانت هي.»

حدق بها وقال:« وكيف تعرفين؟ كيف تبدو؟»

« كانت قصيرة، جميلة جداً، ولديها عينان رماديتان واسعتان، وشعر اسود. كما ان لديها غمازة على خدها الأيسر.» واشارت بأصبعها إلى المكان المحدد على خدها. تابعت:« لقد رأيت لها صورة مع بول في غرفته في ذلك اليوم الذي احضرته فيه إلى المنزل عندما كان مريضاً.»

اغمض عينيه وقال:« اه، أين هي؟»

« لا أعرف.»

انفجر صارخاً:« لا تعرفين.»

« لا، لا أعرف! فهي لم تخبرني، غادرت بالسيارة. ارادت... ان ترى بول. فقلت لها انه ليس في المنزل ايضاً، وكل ما فكرت به هو ان ادعها ترحل قبل ان يخرج بول لمساعدتي بجرف الثلج.» تنهدت بعمق، وتابعت:« لا ادري ان كان، من المفترض عليه ان يراها ام لا. لقد تصرفت بطريقة لا شعورية.»

قال برينت بمرارة:« آخر مرة رآها كان له من العمر ثلاثة اشهر فقط.»

«طلبت مني ان اخبرك انها ستذهب إلى مكتبك خلال اليومين المقبلين.»

لمعت عيناه وقال:« حسناً. ومن الأفضل ان تفعل، قبل ان اطلب ملاحقتها.» وتحرك مبتعداً باتجاه الباب.

« كانت تحمل هدية لبول، في عيد ميلاده، وقالت انها ستعود لتقدمها اليه.»

« مستحيل!» وصل إلى الباب وفتحه.

« برينت؟»

استداروقال « نعم؟»

« ما الذي تريده؟»

« لافكرة لدي، لكن مهما كان الأمر فهو ليس جيداً.»

ابعدت عنها الخوف المسيطر عليها منذ ساعتين وقالت:«ماذا اذا كانت تريد بول؟»

ضحك بخشونة:« ولا محكمة في العالم تعطيها هذا الحق، لكن في الوقت الحالي تستطيع القيام بكثير من المشاكل اذا ارادت.»خرج بينما جلست زوو على المقعد واغمضت

عينيها. بعد مرور لحظة فتح الباب ثانية ليدخل برينت منه.

عاد اللون إلى وجهه، ولكنه كان متعباً جداً، قال:« زوو؟»

« ماذا؟»

« شكراً لك، لقد قمت بالعمل المناسب.» والتقت عيناهما، كان هناك ألم وحزن في عينيه ومزيج من العواطف التي لم تستطع فهمها.

« يسعدني هذا.» شعرت وكأنها بحاجة لتذهب إليه، وتضمه اليها وتقول له انها تحبه، وتخبره انها ستفعل اي شيء لتساعده. لكنها عوضاً عن ذلك بقيت صامتة تراقبه وهو يغادر واحساس مرير بالألم مسيطر عليها.

ربما لم يتطلقا. هل هذا هو السبب الذي منعه عن التحدث عن الزواج معها؟ لأنه لا يزال متزوجاً؟ لكن لماذا عليه ان يبقى متزوجاً بعد مرور اثنتي عشرة عاماً؟ هذا جنون ولا أثر للمنطق بذلك. ولكن حتى لو كان هذا صحيحاً، لما لم يخبرها؟ لما لا يثق بها؟

الحياة معقدة جداً. كذلك الناس. لكن هذا هو عملها... حياة الناس وماذا يفعلون بحياتهم. عندما يتعلق الامر بالآخرين فهناك تعليق واضح ووحيد للأمر، مهني وموضوعي. لكن عندما يتعلق الأمر بها او بالأشخاص الذين تحبهم، كل شيء يتغير. لا يمكنها ان تكون موضوعية. فرأيها وغايتها يتغيران وفقاً لأحلامها وامانيها وتوقعاتها.

لذلك لا تثق بتفكيرها فيما يخصها.

والذي يسبب لها يأساً أكبر ان بعد كل هذه الشهور فهي لا تعرف برينت جيداً. كل الذي تعرفه انها تحبه.

لم تستطع النوم براحة تلك الليلة، فلقد بقيت منشغلة البال ببرينت، ولورين وما هو سبب عودتها. ما الذي تريده؟ وماذا اذا لم يتطلقا بعد؟ سيطر الخوف عليها، وشغل بالها طوال الليل وخلال النهار الطويل في المدرسة، فشعرت بارهاق جسدي وعاطفي ما ان عادت إلى المنزل.

سألها بول ثانية:« ما الأمر؟ هل انت مريضة؟ كنت تتصرفين بطريقة مضحكة البارحة ايضاً و... » توقف عن الكلام وتجهم وجهه وكأنه يعاود التفكير قبل أن يقول:«لماذا اتى والدي ليلة البارحة؟ كان يتصرف بطريقة مضحكة هو أيضاً عندما عاد. ما الذي يجري؟»

كيف يمكنها ان ترد عليه؟ جلست، وهي تمسك بفنجان الشاي بيديها وكأنها تستمد الشجاعة من حرارته.

« هناك بعض المشاكل، لكنها ستحل بطريقة جيدة. ولا شأن لك بها كي تقلق، بول. فقط اصبر قليلاً.»

« لكن ما الأمر؟»

« انها مشكلة تخص الكبار. واعلم انك لا تحب سماع ذلك، لكن هذا كل ما استطيع اخبارك به.»

قال فجأة:« اتمنى فقط لو نستطيع العودة إلى ما كنا عليه. اتمنى لو انك انت وابي... » عض على شفته وقال:«انا آسف.»

« لا بأس. انا آسفة ايضاً، بول. اعتقد اننا جميعاً آسفون.»

شعرت فجأة بصداع قوي. لا تملك الشجاعة لمثل هذا الحوار، ولاقوة لديها لتتمكن من تخفيف ألم وقلق بول، وهذا ما يشعرها بالذنب.. نهضت عن كرسيها وقالت:« سآخذ

قرصاً من الأسبرين، اشعر انني سأكون افضل عندما اتخلص من هذا الصداع.»

نزل بول إلى منزله عندما عاد والده فتناولت عشاءها وراقبت الاخبار على شاشة التلفزيون. لا شيء سوى البؤس، كما يبدو. حروب اهلية، تحطم طائرة، جرائم قتل ومجاعة. حسناً، ان قارنت نفسها بكل ما يجري، فحياتها ليست سيئة على الإطلاق. ابتسمت، وقالت لنفسها، ابتهجي، فأنت بألف خير.

لا لم تكن بخير. فبالرغم من ارهاقها، لم تتمكن من النوم. كل الذي كانت تفكر به هو برينت وزوجته وان كانا لا يزالان متزوجان واذا كان هذا هو السبب الذي منعه من التقدم طلباً ليدها. شيء وحيد واضح لها، انها لن تجد جواباً لسؤالها مهما فكرت بالأمر.

عليها أن تسأل برينت.

قد يقول لها ان حياته الخاصة لا تعنيها. ترددت، لكن لفترة قصيرة. فهي لن تخسر شيئاً من جراء ذلك.

نهضت من سريرها، وارتدت روباً طويلاً ونظرت إلى نفسها في المرآة. لا حاجة لها كي ترتدي ثيابها. فقد تخونها شجاعتها وهي تفعل ذلك، كما وانها ترتدي ثياباً تغطيها حتى عنقها.

نزلت الدرج ودقت على بابه. فتح الباب بعد مرور فترة قصيرة، وهو يحمل بيده كوباً، ورفع حاجبه متسائلاً.

قال وهو يبتعد عن الباب:« اتمنى انه لا وجود لمصائب أخرى؟»

« اريد ان اتحدث معك بخصوص أمر ما.»كانت مضطربة

جداً. فهي تحب هذا الرجل، لكنه غريب الان، غريب وهي لا تعرف ما هي افكاره وما هو شعوره.

نظر اليها وقال بقلق:« انت متوترة. هل أنت بخير؟»

ارادت ان تقول، لا، انا لست بخير! لكنها قالت:« انني بخير.»

قال:«اتريدين شراب ما؟»

قالت:« الشاي.» فقد يساعدها ذلك. سكب لها فنجاناً فشربت رشفة وقالت:« يريد بول أن يعرف ما الذي يجري.» لم تكن متأكدة انها تستطيع الدخول مباشرة فيما يشغل بالها، فتابعت:« لم اخبره بشيء عن الموضوع، بالطبع، لكنني غير راضية. فهو قلق.»

قال بهدوء :« نعم. لقد تحدثنا عن ذلك الليلة. واعتقد انني تمكنت من تهدئة باله.»

هل أخبر بول ان أمه كانت هنا؟ هل أخبر بول عنها يوماً؟ كيف يمكنك اخبار ولد أن أمه تركته وهو لا يزال طفلاً؟ نظرت إلى برينت، لكن تعابير وجهه لم تشجعها للمتابعة بمزيد من الأسئلة.

اخذت رشفة اخرى من الشاي، وهي مدركة ان برينت يراقبها.

« ماذا كنت تريدين ان تسألي؟»

استجمعت شجاعتها وقالت:« عنك وعن لورين.»

سأل بحدة:« نعم؟»

تنهدت بعمق وقالت:« هل ما زلت متزوجاً منها؟»

حدق بها:« لماذا علي ان أكون متزوجاً منها؟ بالطبع لست زوجها!»

« لم أكن اعلم. لم تذكر ذلك. وقالت... انها زوجتك؟»

قال باشمئزاز واضح:« قالت انها كانت زوجتي؟»

اومأت برأسها وقالت:« نعم.»

ضحك ببرودة:« ربما هذا لمصلحتك. لقد طلقتها منذ عدة سنوات. ودعيني اخبرك. لقد طلب مني الامر ثلاث سنوات حتى وجدتها.»

قالت وهي تكمل فنجانها:« فهمت.» لم تعلم اذا كانت ما سمعته قد خفف عنها او زاد حالتها سوء. من الواضح ان ذلك ليس السبب كي لا تكون جزءاً من حياته في المستقبل.

قال بفقدان صبر واضح واضح:« لماذا تريدين ان تعرفي؟ ومالفرق في ذلك الان؟ »

شعرت بألم في صدرها، قالت:« احاول فقط ان أفهمك. اعتقدت انك ربما لا تريد التحدث بشأنها لأنك ما زلت متزوجاً، وكلما فكرت بالأمر...اه، اني لا اعلم. كنت اتمنى ان تضع ثقتك بي أكثر وتخبرني اشياء مهمة عن حياتك.» شعرت بالدموع في عينيها. انها تتصرف كالحمقاء. وهي مجرد غبية رومانسية. لم تدري ما الذي ستقوله بعد. وضعت فنجانها جانباً، ونهضت قائلة بصوت مرتجف:« اني اسفة.» كل الذي تريده الان هو ان تعود إلى شقتها.

لم تكن سريعة بما فيه الكفاية. اقترب منها ووضع ذراعيه حولها ليضمها اليه بقوة ويقبلها.

شعرت بحب كبير. لكن هذا لا يكفي. وسمعت همسات من الخوف في داخلها، هذا لا يكفي.

استجمعت كل ما لديها من قوة وارادة لتبتعد عنه ولتسير نحو الباب وتغلقه وراءها.

• • •

اتصل بها بعد ظهر اليوم التالي في مكتبها فشعرت باضطراب في قلبها لسماع صوته العميق وهو يسألها ان كان لديها دقيقة وقت.

لحسن الحظ لم يكن هناك احد في المكتب. لقد غادر للتو صبي وفتاة لديهما بعض المشاكل. قالت زوو:« نعم، لامشكلة.» وهي تتساءل، ان كانت ستتمكن يوماً من ان لا تتأثر لمجرد سماع صوته.

قال:« لورين كانت هنا.»

www.elromancia.com

الفصل العاشر

امسكت زوو السماعة بقوة وهي تشعر بالتوتر. اغمضت عينيها، لترى المرأة ذات العينين الباردتين في مخيلتها، رأتها بوضوح وكأنها واقفة تماماً امامها.

تابع برينت:« لقد غادرت الان، واعتقدت من الأفضل ان اخبرك انها لن تزعجني وتزعج بول ثانية. لا تقلقي او تفكري بأنك سترينها امام الباب ثانية.»

شعرت بالراحة وقالت:« ما الذي حدث؟ ما الذي تريده؟»

اجاب بصوت المتفاخر:« لم تكن تبحث عن بول او ترغب في استرجاعه او حتى في طلب الزيارة. ارادت المال.»

« المال؟»

« يبدو ان زوجها الثالث لم يترك لها شيئاً بعد وفاته ولقد كانت تفكر انه ربما يمكننا الوصول إلى اتفاق يدفعني لتقديم لها بعض « المساعدات المالية» كما وصفتها.»

« ولما عليك القيام بذلك؟»

«اعتقدت ربما لا اريدها ان تجعل حياتي وحياة بول قاسية. فلديها افكار كثيرة كيف ستتمكن من القيام بذلك.»

شعرت زوو وكأنها تختنق، همست:« هذا ابتزاز.»

« بصوت عال وبكل وضوح، لكن لسوء حظها، كان ذلك واضحاً وسجلته بصوت عال على شريط تسجيل حضرته للمناسبة لكل ما ستقوله لي. اذا كان هناك ما تقوله.»

احساسها بالراحة جعلها تضحك، « انك ذكي جداً.»

« نحن نقوم بما علينا القيام به.»

« نعم» واغمضت عينيها، لتردد كلماته في فكرها. هذا ما قامت به البارحة.

« نعم، نحن نفعل ذلك، برينت.»

ساد الصمت قليلاً. قال بصوت هادىء وعادي:« حسناً، اعتقدت ان علي اعلامك بالأمر.»

• • •

كانت غارقة بأفكارها عند عودتها إلى المنزل حين رأت ولدهشتها رجلاً يجلس على الدرج الحجري الذي يوصل الى الباب الامامي في مبناها.

رجل له لحية ويرتدي جينزاً، شعره داكن ووسيم ابتسم ابتسامة كبيرة عندما رأى الدهشة على وجهها.

« نيك!» سيطرت الدهشة عليها ثم فرح كبير، رددت:« نيك!» واسرعت على الدرج إلى ذراعيه المفتوحتين. لم تتعرف عليه فوراً، فاللحية قد غيرته.

شعرت براحة كبيرة تبعدها عن وحدتها المسيطرة عليها.

قالت بصوت متأثر:« رائع ان أراك، اه، نيك، انني سعيدة جداً لأنك اتيت!»

أبعدها قليلاً عنه وابتسم في وجهها:« هل أرى دموع الفرح؟»

ابتسمت ابتسامة كبيرة وقالت:« بالطبع لا! انني ابتسم!» ووضعت ذراعيها حول رقبته ثانية وضمته:« انني سعيدة جداً لرؤيتك!، لحيتك هذه مضحكة.»

بعدها ومن وراء كتفه، لمحت برينت، ينظر اليها بعينين باردتين، وهو يحمل مفاتيحاً بيده.

قال:« اسف على الإزعاج، لكنني ارغب في الدخول.»

شعرت وكأن قلبها يغوص في صدرها، فتحركت بصورة آلية لتدعه يدخل، مبعدة حقيبة نيك الكبيرة. وضع برينت المفتاح في القفل، وهو لايظهر اية اشارة انه يرغب في التعرف على الرجل.

قالت:« اترك الباب مفتوحاً، سندخل.»

« كما تشائين.»

سارا وراءه، بعدها صعدا امامه على الدرج وهو يتفحص صندوق بريده. قالت لنيك:« منزلي في الطابق الثاني، هيا اصعد.»

لم تنظر إلى الأسفل، لكنها كانت تشعر بعيني برينت تتبعانها.

قال نيك ما ان فتحت باب شقتها:« تلك النظرة على وجه الرجل كانت كافية لتوقف قلبي.» نظر اليها بقلق:« اعتقدت انك واياه...»

قالت:« انتهى الأمر.» متمنية ان لا يطرح المزيد من الاسئلة. تبعها إلى الداخل. خلعت قفازيها وشالها، ومررت يدها في شعرها. رأته يراقب شقتها.

قال:« مكان رائع، مريح جداً. تماماً كما توقعته.»

« لما لم تكتب لي وتعلمني بحضورك؟»

« اردت ان افاجئك. غادرت باكراً. فزفاف اختي في الأسبوع القادم، في شمال كارولينا، واعتقدت انه من الأفضل ان أمر لأراك.»

خلعت معطفها واخذت من يده جاكتته لتعلقها:« هل يمكنك البقاء لعدة أيام؟ لا يوجد لدي غرفة نوم إضافية ،لكن هذه الصوفا تصلح للنوم.»

ابتسم لها وقال:« اذا كنت حقاً تريديني ان أفعل.»

قالت بجدية:« انا حقاً اريدك ان تبقى، حتى انني سأطبخ لك.»

* * *

قال نيك:« هذا حقاً شهي.» وهو يحرك طعامه بشوكته بشهية كبيرة. في اليومين الماضيين وجد نيك كل ما قدمته له شهي جداً.

قالت وهي تبتسم:« شكراً لك.» أمر جيد ان تجد صديقاً لها، ان تجد شخصاً تتحدث معه وتضحك. هذه الليلة، بعد ان ينتهيا من تناول الطعام، سيذهبان إلى حفلة معاً. ولو لم يكن هنا، لكانت بقيت في المنزل. فليس لديها الحيوية والطاقة للأمور الاجتماعية هذه الأيام. وهذه ليست بادرة جيدة، وهي تعلم ذلك.

سألها، وهو يمسح فمه بمحرمة:« كيف تتعاملين مع حبك السفر؟ ألم تفكري مرة ان تتخلي عن هذه الحياة المريحة والعودة إلى العمل ثانية في بعض الأماكن الفقيرة والمحتاجة؟»

لقد فعلت، وان لم تفكر بالاماكن الفقيرة والمحتاجة، بل باماكن جميلة ومثيرة. فمنذ ان افترقت عن برينت، وهذه الفكرة تسيطر عليها. انها بحاجة لشيء جديد يثير حماسها، الى تحد جديد. فالاستقرار الذي بنته هنا قد فشل بشكل ذريع. لديها منزل خاص ومميز، وهذا صحيح، لكنه لم يحقق لها السعادة الحقيقية. هل حقاً كانت ترغب في البقاء هنا بين أشيائها الجميلة متمنية ان رجلاً سيظهر يوما ما في حياتها ويعيش معها في السراء دائماً؟ اذاً هذا الإحساس يجعلها تشعر وكأنها عنكبوت تنتظر ضحيتها.

لم تعجبها هذه الفكرة مطلقاً.

ليس من العدل ان تمضي حياتك بانتظار حدوث شيء ما فمن الأفضل ان تنطلق وراء ما تريد ان تفعله، وان تعيش حياة مفرحة للقلب ومثيرة للعقل، وان كان مقدر للحب ان يأتي، فلا بد انه سيفعل.

نظرت إلى نيك وهزت رأسها:« لقد فكرت بالأمر، بالطبع لما تسأل؟»

وضع يده على لحيته مفكراً وقال:« لعدة أسباب. اولاً، لا اعتقد انك سعيدة بالعيش هنا. انت فقط تحاولين ان تقنعي نفسك بذلك. اشعر باحساس قوي من الملل والحزن تحت هذا الحماس الظاهر الذي تصفين فيه العيش في عاصمة البلاد.»

لم تجب. لقد كان محقاً، وشعرت بالدهشة انه عرف كل شيء بسرعة، في أقل من يومين. عرف الحقيقة التي تطلبت منها اكثر من ذلك بكثير.

قال:« هل أنامخطيء؟»

هزت رأسها وقالت:« لا.»

شرب القليل من العصير وقال:« كما وانني سألتك ذلك السؤال لأن لدي دوافع خاصة.»

« وما هي تلك الدوافع.»

«قررت أن أقنعك بالعودة معي. اعتقد ان علينا التخلص من الإحساس بالوحدة السخيف هذا وان نتزوج. سنحظى ببعضنا ونعيش سعداء.»

« عليك ان تحلق لحيتك.»

« سأفعل ذلك.»

« أريد الفطور في السرير نهار الأحد.»

« سأفعل ذلك ايضاً.»

هزت برأسها وقالت:« وعليك ان تتخلى عن كونك قليل الترتيب. فأنا لا استطيع العيش مع شخص يترك ثيابه ومنشفته في كل مكان في المنزل.»

«سأتوقف عن كوني قليل الترتيب.»

عضت على شفتها، كي لا تضحك:« بالطبع ستفعل ذلك.»

« اقبلي الزواج بي وسأفعل كل ما تريدينه.»

حدقت به وقالت:« نيك، لست جاداً بكلامك!»

« انني جاد جداً. فأنت افضل صديقة لي. نحن نمزح ونضحك معاً. وسيكون زواجنا ناجح.»

ابعدت صحنها ووضعت ذراعيها على الطاولة، قالت:« لقد نسيت شيئاً مهماً جداً.»

« وما هو؟»

«نحن لا نحب بعضنا.»

« لا تقولي ذلك. فأنا احبك. اعطني الزبدة من فضلك؟»

« حسناً، وانا احبك ايضاً.» قدمت له الزبدة وتابعت:« لكنني لا اعتقد انه النوع الحقيقي للحب الدافع للزواج.»

« وما هو النوع الحقيقي للحب؟ انظري إلى مانحن عليه. نحن صديقان جيدان نفهم بعضنا جيداً ولدينا ذات الميول، ولا نختلف ابداً. فماذا تريدين بعد؟»

« الشغف.»

«ومن قال انه لا يوجد بيننا شغف .»

حاولت ان تبقى هادئة وهي تجيب:« تحدث عن نفسك فقط.» وشعرت بألم مفاجيء في قلبها.

نظر اليها محدقاً: « عندما كنت اشعر بالشغف، مع عدم وجود اي قواسم مشتركة، انتهى الامر بنا إلى كارثة. كما تعلمين.»

« انا جشعة. اريد كل شيء.»

ساد الصمت وهو يمسح الزبدة على الخبز بعدها قال ببطء، من دون ان ينظر اليها: « السؤال مهم، هل ستحصلين على كل شيء؟»

لم تستطع ان تكل طعامها فحدقت بغطاء الطاولة.

انزلقت السكين من يده وسقط على الصحن. قال بصوت غاضب: « هل هو ذلك المغرور اللعين في الطابق الارضي، اليس كذلك؟ جبل الجليد ذاك؟»

لم تجب.

« أنت تشعرين بالحب والشغف نحوه؟»

ابعدت كرسيها ونهضت قائلة: « اه، اصمت، نيك!» وغادرت إلى المطبخ.

تبعها وهو يقول: « ما الذي فعله بك؟»

حدقت بوعاء على الطاولة مليء بالفاكهة، كي تتجنب نظراته، قالت: « لا شيء. انا المخطئة. لقد توقعت منه الكثير، وطلبت منه الكثير. لذلك ابتعدت عنه.»

« وماذا كنت تريدين؟»

استدارت لتواجهه، قالت: « ماذا أريد؟» ضحكت ضحكة قصيرة مليئة بالإشمئزاز. « اردته ان يطلب مني ان ابقى بقربه كل العمر.»

« وهو لم يفعل ذلك؟ هل قال لك ذلك؟»

« انه يخطط لحياته بدوني. سيذهب إلى البرازيل لفترة

طويلة وهو لم يتحدث معي بذلك ولم يسألني ان كنت ارغب بمرافقته. كما انه لم يتحدث بشأننا. فلم اتحمل الأمر.»

شدها اليه ووضع رأسها على كتفه وقال: « لا عليك يمكنك ان تبكي، مع أنني اقول لك انه لا يستحق دموعك. فهو لا يعلم الانسان المناسب والجيد عندما يراه. انظري إلى نفسك.. فاتنة، ذكية، محبة. تحبين السفر! وتطهين بطريقة مميزة! وفوق كل هذا حب وشقف! فقط تخيلي اية حياة سيحصل عليها!»

لم تستطع ان تذرف اية دمعة، وهذا ما جعلها تشعر بالإستغراب. قالت بسخرية: « اه، اسكت نيك.» ابتعدت عنه وتابعت: « لنزيل ما تبقى من الطعام ونذهب إلى الحفلة.»

* * *

علمت زوو متى توقفت عن الاستمتاع بالحفلة. كانت في تلك اللحظة التي نظرت فيها إلى نيك عبر الغرفة ورأته يسرف في التدخين.

اه، تباً لما لم اهتم لأمره اكثر؟ حسناً، فهي ليست حاضنة أطفال اليس كذلك؟ فهو رجل كبير. رجل لديه مشكلة. وأسرعت بمناداة سيارة أجرة.

قالت عندما عادت إلى الداخل بعد مرور عشر دقائق: « لقد حان الوقت لنعود الى المنزل.» اجابها إنه لا يريد العودة.. تمتم بنكتة وضحك. لم يكن الأمر مضحكاً. أمسكت بذراعه وقادته إلى الخارج بعناية ووضعته في السيارة المنتظرة.

قال متهماً: « انت غاضبة مني.»

« انت تعلم ذلك.»

قال بلطف: « انت على حق، فأنا انسان سيء.»

نظرت إلى الخارج وهي تعض على شفتها كي لا تقول له شيئاً. بدأت السماء تمطر ولحسن الحظ لم تكن المسافة بعيدة إلى منزلها وقد شعرت بالراحة عندما خرج نيك بمفرده من السيارة. دفعت المال إلى السائق فانطلق مغادراً.

جلس نيك بقوة على حائط الدرج الذي وصل إلى الباب الامامي.

قالت:« علينا الدخول، نيك.» وتساءلت كيف ستتمكن من ادخاله إلى المنزل:« انهض، نيك.»

« اريد الجلوس هنا.»

« لكن اريدك ان تنهض. فالطقس بارد، وانت تجلس تحت المطر! لا تتصرف كالحمقى!»

لقد كان يتصرف فعلاً كالأغبياء ولقد شعرت بالضيق والاحراج من تصرفه الغبي. وكانت قلقة عليه أيضاً.

« اذا لم تقف وتحاول صعود الدرج، سأبحث عمن يساعدني! فلا أستطيع تركك هنا.»

« ابقي معي، اذاً. انها تمطر. وانا احب المطر. المطر هو الحياة. حتى انه يجعل الصحراء تزهر.»

« ستبرد هنا حتى الموت!» ما الذي تفعله، تقف هنا تختلف مع رجل غير مدرك ماذا يفعل؟

عليها أن تطلب المساعدة. فكرت بالاحتمالات. زوج ماكسي ليس في البلد كما ان الانوار في منزلها غير مضاءة. فربما ماكسي لا تزال في الخارج او انها نائمة. فلم يبق امامها إلا خيار واحد، عليها ان تسأل برينت، ليست هذه بفكرة صائبة، لكن لا بد لها من ذلك. فتحت الباب الرئيسي ودقت على باب شقته وهي تشعر بالقلق والغضب.

فتح الباب واطل منه متفاجئاً.

قالت:« احتاج للمساعدة، فنيك منهار بالخارج. واحتاج للمساعدة لأوصله إلى المنزل.»

ساد صمت ثقيل. رفع برينت حاجبيه وقال اشمئزاز بارد:«اظن، نيك، هو الشخص الملتحي الذي يمكث عندك؟»

شدت على أسنانها بقوة:« نعم، وهو لا يريد النهوض واذا تركته هناك سيتجمد حتى الموت.»

ظهرت على وجه برينت ملامح انه لا يجد الفكرة سيئة، لكنه تحرك خارج الباب فابتعدت عن طريقه.

وبدون اي مجهود، انهض نيك على قدميه وقاده إلى داخل المبنى. قال نيك:« لابد انك الشاب الذي يجعل زوو غير سعيدة. حسناً، قلت لها انني سأسعدها. فأنا سأتزوج بها.»

صعد برينت الدرج وهو يساعده من دون ان يتكلم تابع نيك:« انها تريد حب وشغف لكنني اريد الزواج بها. فأنا احبها. لقد احببتها دائماً، هل تعلم، لقد اتيت من افريقيا لأجلها.»

قال برينت، بصوت لاذع:« اخرس.»

«لقد احببتها دائماً...لكنني لم أعلم. مرت سنوات ولم اعلم، بعدها رحلت. لو انني قلت لها انني احبها لما رحلت. كل ذلك بسبب بينيكا. لقد سيطرت علي، تلك الفتاة. هل سيطرت عليك يوماً فتاة ما؟»

قال برينت:« اخرس.» وادخله عبر الباب. فرمى نيك بنفسه على الكرسي.

استدار برينت نحو زوو وقال وعيناه تتقدان غضباً:« ما هي مشكلتك ؟»

« لا مشكلة لدي! نيك لديه مشكلة.»

« وانت تسمحين له بالنوم في شقتك! هل انت مجنونة؟»

شعرت بغضب صارخ. وضعت يديها على خاصرتها وحدقت بوجهه الغاضب. قائلة:« يمكنني أن أفعل ما أشاء.»

« اه، لكن لا تفعلين إلا الصواب، اليس كذلك؟ انه لا يناسبك، زوو.»

« لقد طلبت منك المساعدة، وليس نصيحتك او رأيك.»

« لا أجد الامر مريحاً بوجود شخص مثله في شقتك.»

« انه انسان جيد، ولا يقدم على عمل خاطىء.»

« لست متأكداً من ذلك.»

« هذه مشكلتك.»

حدق بها وقال:« هكذا اذاً.» وما رأته في عينيه جعل قلبها يقفز من مكانه.

« هل هو ذلك الشاب الذي كتب لك تلك الرسالة؟»

« نعم.»

« وانت تدعينه إلى منزلك؟ هل تحبينه؟ ولا تقولي لي ان هذا ليس من شأني.»

« هذا ليس من شأنك.»

« تباً، زوو، ما هي مشكلتك؟»

قالت ببرودة:« انت تكرر ما قلته سابقاً، ليس هناك اية مشكلة لدي.»

سارت نحو الباب وفتحته قائلة:«شكراً لك على مساعدتك.»

ظهر الغضب بعينيه، تحرك ليقفل الباب، وينظر اليها ويسأل ثانية:« هل تحبينه؟»

سألت بمرارة:« وما يعنيك بذلك، هل تغار؟»

« لا أحب ان أراك تقومين بعمل سيء.»

« انني متأثرة باهتمامك، لكنني اذكرك انك لست وصياً علي؟»

لمعت عيناه حين قال:« انا اهتم بك، هل هذا أمر غريب؟»

انه يهتم بها. قالت بسخرية:« لا، بالطبع ليس أمراً غريباً فرغم كل شيء، انا جارتك، ومستشارة مدرسة ابنك. بالطبع تهتم.»

« كفى ،زوو، تباً.» اقترب منها ووضع يديه على ذراعيها. نظر اليها عن قرب. كانت عيناه متوترتين. لم تستطع النظر إليهما، فابعدت نظرها عنه.

قالت:« دعني.»

« ليس قبل أن تجيبي عن سؤالي.»

شعرت فجأة انها متعبة جداً. لا يهم. فليس الأمر بذات اهمية، قالت بصوت هادىء:« لا، لا احبه ولم أفعل يوماً.»

تركها وهو يقول:« جيد.»

ابتعدت عنه، كان بامكانها ان تكذب عليه، لكن الألاعيب ليست من اسلوبها. فهي تعقد الأمور. ابعدت شعرها عن وجهها، وهي تنظر اليه. نظر إلى نيك الذي كان يجلس على الكرسي وقد فتح فمه.

سأل برينت:« هل ستتركين دون جوان ينام على الكرسي؟»

ارادت ان تفعل ذلك، لكنها اشفقت عليه. فهي تتخيل بما سيشعر عند الصباح. قالت بقلق:« انه ينام على الصوفا، وعلي ان ادفعها بقوة كي تفتح.»

بعد مرور عدة دقائق كان نيك ينام على الصوفا، بثيابه لكن بدون حذائه. اخذ يتحدث ويتمتم، بعدها نام بدون حراك.

نظرت زوو إلى برينت وقالت:« شكراً لك.»

لم يتحرك.

قالت بحدة:« من الأفضل ان تعود إلى المنزل قبل أن يعتقد بول أنك غادرت.»

«بول عند شقيقتي في فيلادلفيا.» نظر مباشرة إلى عينيها قبل أن يتابع:«لن اتركك بمفردك معه.» قال ذلك بلهجة انه لن يغير رأيه مطلقاً. مع ذلك شعرت ان عليها المحاولة:« انني بخير، برينت. لن ينهض قبل الصباح.»

« لن أرحل.»

هزت كتفيها وقالت:« حسناً، يمكنك ان تنام على الكرسي. عمت مساء. انني ذاهبة إلى غرفتي.» استدارت بسرعة فضربت كاحلها بالزاوية الحديدية للصوفا. صرخت وانهمرت دموع الألم من عينيها.

نظرت الى الجرح وقالت بسرعة:« اه، تباً.» راغبة في ان تبكي كالأطفال. تبكي بسب الألم، ولأنها تشعر باليأس. تبكي لألف سبب وسبب.

اقترب برينت منها وقال:« هل أنت بخير؟»

« اني بخير.» ودخلت غرفتها.

كان برينت وراءها قال:« دعيني ارى.» انهمرت الدموع من عينيها وهي تشعر بيده على مكان الألم.

قالت:« سأعيش، ليس الجرح خطراً.»

قال:« سأحضر مرهماً.» وتوجه إلى خزانة الدواء، كان يعلم اين المرهم.. فقد استعملاه عندما جرح بول اصبعه. وبنعومة وضع الدواء على مكان الألم.

الفصل الحادي عشر

نهضت في الصباح لتجده ما زال هناك. شعرت باحساس كبير من الحب والراحة. فهذا الرجل هو حبيبها.

فتح عينيه وكأنه شعر بتحديقها به. نظر اليها للحظة، بعدها اغمض عينيه، وهو يضع يده على وجهه.

قال ببرودة قاتلة:« انني آسف.»

شعرت بيد باردة تعتصر قلبها. فليس هذا ما تود سماعه. اغمضت عينيها، وكأنها تتمنى ان تتخلص من كل هذا الألم المسيطر عليها.

ما كانت تريده سماع كم افتقدها، وكم يحبها. وانه سيتزوج منها وسيخططان معاً لمستقبلهما. لا شيء مهم طالما هي جزء من حياته.

كانت مجرد غبية وساذجة. فتحت عينيهاوقالت:« لماذا انت آسف؟»

« لأن لا شيء سيتغير!»

لأنه لا يستطيع تقديم لها ما تريد؟

ما تريده هو ان يحبها، تريده ان يقول لها، احبك، واريدك معي دائماً. ماتريده قصة حالمة، خيال وحلم جميل، ومن الواضح انه لن يتحقق اي شيء من ذلك.

امر مؤسف، انها لن تتوقف عن الحلم. عليها ان تتابع حياتها وتنسى هذا الاحساس الذي يربك وجودها.

شيء ما بداخلها جعلها تحتفظ برباطة جأشها. فلم تقل له

شيئاً. استحمت بسرعة، جففت شعرها ونظرت الى نفسها بالمرآة. رأت تلك النظرة الحزينة في عينيها فابتسمت، وهي تقول لنفسها. عندما تعش حياتك ابتسم دائماً. فكل هذا سيمر ايضاً.

وجدت نيك في غرفة الجلوس يجلس بجانب الصوفا وقد وضع رأسه بين يديه. في الحقيقة، كان متكئاً اكثر من جالساً وهو يمثل صورة لليأس والالم.

كل الذي تريده رجل واحد في حياتها. شخص تحبه بقوة وجاهزاً للارتباط بها.

حسناً، ها هي الان. هناك رجلان في شقتها، واحد يريد الزواج بها، لكن لا وجود للحب الحقيقي بينهما. وآخر لا يريد الزواج منها حتى ولو احبته.

لو انها تستطيع جمعهما لكانت حصلت على الرجل المناسب. ابتسمت وذهبت الى المطبخ لتعد ابريقاً من القهوة.

بعد مرور دقائق نظر نيك الى برينت محدقاً. قال:« ماذا تفعل هنا.»

نظر برينت اليه وكأنه حشرة وبقي صامتاً وكأنه لا يستحق ان يرد على سؤاله.

نظر نيك الى زوو وقال مكرراً:« ما الذي يفعله هنا؟»

قالت بهدوء:« لقد ساعدني كي اوصلك الى هنا ليلة البارحة. فقد كنت تعاني من مشكل في ساقيك.»

اغمض نيك عينيه وقال:« انني آسف، زوو. لا ادري ما الذي حدث لي...»

قاطعه برينت ببرودة:« بل تدري. وبعد ان اوصلتك الى هنا، اعتقدت انه من الافضل ان ابقى هنا كي لا تراودك افكار سخيفة.»

تمتم نيك كلاماً غير مفهوم ونظر نحو زوو مستنجداً، قال:« لا اعتقد انه يحبني. هل تقربت منك يوماً طوال سنوات صداقتنا؟»

تنهدت زوو وقالت:« لا، لم تفعل، نيك.»

نظر الى برينت الذي يبدو قوياً ومسيطراً:« انني حقاً شاب جيد. حتى انني استطيع التكلم بتفاخر مثلك عندما لا اكون مصاباً بصداع أليم.»

قدمت له زوو فنجاناً من القهوة وقالت:« اشرب هذا، ساحضر لك قرصاً من الاسبرين.» نظرت الى برينت وتابعت:« اتريد فنجاناً من القهوة؟»

« لا، سأغادر.»

« اي اجتماع سعيد هذا.»

غادر برينت، فعاد نيك الى النوم وهو يئن. بينما ذهبت زوو للتسوق. امضت ساعات تتسوق. وعندما عادت كان نيك قد استيقظ. اعاد ترتيب الصوفا، والغرفة بأكملها، كما وانه جهز حقيبته.

قال:« عائلتي تنتظرني، ولا بد ان اودعك واتمنى لك حياة سعيدة.»

« لم تكن لتغادر قبل الغد.»

هز رأسه وقال:« اعتقد من الافضل ان اغادر اليوم. انني اسف جداً على ما حصل البارحة. اعتقد علي ان انتبه لتصرفاتي .»

« نعم.»

ابتسم وقال:« لا احقاد؟ ولا مواعظ، ولا نصائح؟»

هزت رأسها وقالت:« ليس هناك ما استطيع قوله وانت لا تعرفه حقاً.»

التقت عيناهما للحظة طويلة. كان هناك حزن وندم، قال:«ذلك الشاب الذي يعيش في الطابق الاسفل احمق.» ووضع ذراعيه حولها، ضمها اليه مودعاً ثم غادر.

* * *

سمعت زوو الاخبار في المدرسة، من آن، التي تصلها المعلومات عبر مصادرمختلفة، والتي تمر بطرق غامضة وسرية احياناً. لكن هذا لم يفاجئها، فهي تعلم آن وتعلم كم هي صغيرة مدينة واشنطن، وكم هي قوية وموثوقة تلك المصادر.

سيذهب برينت الى البرازيل. فقد ربحت شركته العقد وهو من سيتولى ادارة المشروع.

شعرت بمزيج غريب من العواطف، الخوف... اليأس واحساس غريب مشؤوم. اذا كانت تحتفظ ببعض الامال الخفية، فليس هناك اي مجال لذلك الان. عندها شعرت بالغضب. فهذا لا يعنيها، لكنها لم تستطع ان تنكر غضبها... غاضبة لان من الواضح ان بول لا يعلم شيئا عن مخطط والده.

كان برينت يخطط للانتقال الى بلد جديد لعدة سنوات وهو لم يخبر ابنه حتى. لا تستطيع تصديق ذلك. فهذا عمل غير مسؤول.

خلال شهور قليلة، برينت وبول سيغادران الى الابد. كان لديها امل خفي ان تخسر الشركة المشروع او ان يلغى بأكمله، وان برينت سيبقى...

حاولت ان لا تنهار. فالانهيار محرج وعمل غير مشرف وسيعيق حياتها. لذلك ابقت نفسها منشغلة، تفعل اي شيء

وكل شيء تستطيع التفكير به لتبعد فكرها عن برينت وتبعد قلبها واحساسها عنه. خرجت لحضور عدة حفلات. اخذت دروساً في اللغة الاسبانية. مهما يكن، وكي لا تنهار تماماً، سمحت لنفسها بالبكاء في الليل... لان هذا ما ستفعله ارادت ذلك ام لا. فالبكاء امر مفيد... يخلصها من القلق والاحباط. ويساعدها للتخلص من حبه. آه، لم تعد تدري ماذا يحدث لها.

واكثر ما يقلقها انه قريب جداً منها... فقط يبعد عنها مسافة طابق واحد. وكل ما عليها القيام به ان تدخل عبر بابه، لتقول له انها لا تهتم للغد، وكل ما تريده هو ان يكون بقربها.

لكن ذلك كذبة. فهي تهتم حقاً لما سيحدث لها غداً، ومهما كان شعورها، فان سلامتها هي التي تربح في كل وقت. قد تكون رومانسية لكنها تعرف تماماً قيمة التصرف الصحيح، وقيمة الكبرياء، وهي لن تقدم نفسها من اجل لا شيء.

لا بد ان هذا امر مقدر لها. حدقت زوو بالطلبات امامها وبقربهم وضعت عدة نسخات من ملفها الشخصي.

لا يمكنها ان تغير الواقع.

فكل ما تفكربه مؤخرا هو الرحيل، ايجاد عمل لها في بلاد بعيدة، والبحث عن مغامرة جديدة ودوافع جديدة.

نظرت حولها في الغرفة. لقد ارادت العودة الى بلادها ليصبح لديها جذور هنا. اذاً لماذا تشعر بكل هذه الرغبة القوية للسفر ثانية؟

* * *

ساعدها الربيع كثيراً. ارتفعت درجة الحرارة، فتفتحت

براعم الزهور، وارتفع تغريد العصافير. احساسها بذلك، جعلها تحاول ان تبدأ بوعد نفسها ببداية جديدة. فعلى الرغم من كل شيء، انها تسعى لبداية جديدة، فلقد ارسلت تلك الطلبات الى مناطق مختلفة وبعيدة في الكرة الارضية.

في الواقع، كانت تشعر بالسعادة لرحيلها ثانية. فهذا ما يناسبها. مهما يكن. كان هناك حقيقة اخرى لا تسبب لها الحزن والالم في قلبها والارق طوال الليل.. وهي انها لن تتوقف عن حب برينت.

فكل مرة تراه فيها، خارجاً من سيارته او مغادراً للعمل، تشعر وكأن قلبها يتبعه. وفي وقت ما عندما عادت من حصتها في تعلم اللغة الاسبانية ومرت امام شقته سمعت صوته من وراء الباب يتحدث مع بول.

وقفت هناك، وهي تشعر بشوق اليه. صعدت الدرج بسرعة لتجلس على الصوفا في شقتها، وتضم يديها الى صدرها بقوة بينما الدموع تنهمر على وجهها بغزارة.

علمت ان الرحيل لن يخفف من المها بل سيرافقها اينما تذهب.

* * *

في احد الايام، صدفة بسيطة جعلتهما يلتقيان امام صندوق البريد في المدخل الامامي. سلم برينت عليها بانحناءة بسيطة، بعدها ركز اهتمامه على الاوراق الكثيرة في صندوق بريده، واخذ يقلبها بسرعة.

امسكت زوو رسائلها، وهي تنظر اليه بنظرة جانبيه، لترى التجهم الذي ظهر على وجهه. حدق بقوة بمغلف كبير ثم رفع نظره ليحدق بها بغرابة. قال وهو يسلمها المغلف: « هذا لك.»

اخذته منه، وهي ترى اسمها بأحرف كبيرة عليه. من الواضح ان ساعي البريد قد وضعه سهواً في صندوق برينت. انه من وكالات التوظيف العالمية التي اتصلت بها طالبة عملاً. رأت شعار الوكالة بألوان زاهية على زاوية المغلف.

سأل ببساطة وهو ينظر الى المغلف: « تبحثين عن عمل خارج البلاد؟»

« نعم.»

« اعتقدت انك تخططين للاستقرار هنا.»

« هذا ما اعتقدته ايضاً. لقد رغبت بذلك، لكنني غيرت رأيي.»

نظر الى الاعلى وقال: « لديك مكان خاص جداً.»

« انه فقط مكان ليعيش فيه المرء.» مهما كان جوابها، فإنها الحقيقة بالتأكيد.

التقت عيناه بعينيها: « اعتقدت انه اكثر من ذلك.»

لم تجب. في وقت ما كان كذلك، لكن ليس بعد الان. فهي لا تشعر بالراحة فيه، ولا بأي احساس بالامان.

قالت ثانية: « انه مكان للعيش فيه. قررت ان اكتشف العالم اكثر.»

نظر الى الرسائل بين يديه وسأل ببساطة: « الى اين تريدين الذهاب؟»

اجابت بصوت هادىء: « لقد ارسلت بطلبات الى مدارس في تايلاند، ماليزيا والبارغواي.»

« الطعام افضل واشهى في تايلاند.»

انه مليء بالحرارة والنكهة المميزة. شعرت بألم قوي، وهي تتذكر ما كتبه على كتاب الطبخ الذي اهداها اياه في

يوم العيد.« الى المرأة التي اعطتني الحرارة والنكهة المميزة وكل شيء جميل.»

كانت متأكدة انه كتب تلك الكلمات لهدف معين، قالت بهدوء:« نعم.» مصممة ان لا تدعه يرى ما تشعر به.

وضع المفتاح في قفل الباب، وقال:« حسناً، اتمنى لك الحظ الوفير.»

« شكراً لك.» هذا كل ما تبقى لهما التهذيب والتصرف بحضارة.

تمنت لو انها لا تشعر بكل هذا الالم عندما تكون بقربه.

لقد تمنى لها «الحظ السعيد.» وربما هذا ساعدها. هذا ما فكرت به بعد مرور عدة اسابيع وهي تقرأ رسالة وصلتها من ماليزيا. من المؤكد انه حظ جيد ان تجد لها عملاً هناك بهذه السرعة. ماليزيا. قرأت الرسالة والمعلومات المضافة اليها بحماس شديد. لقد وافقوا على طلبها! هذا امر رائع!

اسرعت الى المكتبة في ذلك المساء، لتحضر المزيد من الكتب . لقد قرأت معلومات عامة عن تلك البلاد التي ارسلت لها الطلبات، لكن حان الوقت الان لتقوم ببعض البحوث الجدية.

عادت الى المنزل وهي تحمل عدة كتب، حاولت جاهداً الوصول الى مفتاحها، لامت نفسها لأنها لم تضع الكتب في حقيبة لتحملهم. توقفت سيارة، وظهر برينت على الفور بجانبها.

قال:« دعيني افعل ذلك.» لكن كان الاوان قد فات. لقد انزلقت الكتب على الارض.

تمتمت:« آه، تباً.» وانحنت كي تلتقط الكتب. فساعدها بجمعهم.

شعرت به قريباً، واحست به متوتراً وهو يعيد اليها الكتب.

اخذ مفتاحه وفتح الباب الرئيسي.

قالت بصوت اجش:« شكراً لك.»

سأل بهدوء، وهو ينظر باهتمام الى مجموعة الكتب بين ذراعيها:« ستذهبين الى ماليزيا؟»

« نعم، لدي عرض عمل هناك. واعتقدت من الافضل ان اعرف المزيد عن تلك البلاد قبل ان ارحل.»

قال بصوت بارد:« عمل جدير بالاطراء كالعادة.» واستدار نحو شقته.

بدأ قلبها يضرب يخفق في صدرها، قالت:« لقد سمعت من خلال الشائعات والاقاويل ان شركتك ربحت العقد بالذهاب الى البرازيل.» لقد صممت ان لا تسأله عن ذلك، لكن ها هي الان تفعل ذلك بالرغم من ارادتها. تابعت وهي تضغط على الكتب بقوة:« لا يعرف بول اي شيء عن ذلك الموضوع، اليس كذلك؟ لما لم تخبره؟»

رفع حاجبيه وقال:« كيف لك ان تعلمي ماذا اخبر ابني او لا اخبره؟»

« لو انه يعلم انه سيرحل الى البرازيل، لكان اخبرني ! نحن صديقان،برينت. وهو يثق بي.» لم تستطع ان تكمل ما تفكر به. انه يمضي ساعات في شقتي. انا احب ابنك، برينت. تنفست بعمق وتابعت:« اعتقد انه عمل عديم المسؤولية ان تتخذ تلك القرارات وان لا تدعه يفعل ذلك بأية طريقة ما، او حتى لا تخبره بها.»

وضع يده على مسكة الباب ونظر اليها بعينين ضيقتين، قال:« انني لم اخبره، ايتها المستشارة، لأننا لن نذهب.»

احتاجت للحظة كي تفهم كلامه، لحظة طويلة حتى تجد ما تقوله. حدقت به، ولا تدري بما تفكر به.

« لن تذهب؟ ماذا تقصد بكلامك؟»

استدار ليواجهها، ورفع حاجبه قائلا:« اقصد ما قلته تماماً. فأنا لن اذهب الى البرازيل. لقد تخليت عن ذلك العمل.»

بدأ قلبها يضرب بقوة في صدرها، قالت:« اعتقدت انك تريد ذلك العمل. اعتقدت انك لا تستطيع الانتظار كي ترحل.»

هز رأسه موافقاً، وقال:« صحيح.»

« اذاً لماذا؟»

« بسبب بول. رأيت انك محقة، ايتها المستشارة. انه سعيد هنا وانا لا اريد المخاطرة ثانية بقلب الامور والاوضاع له. على عكس ما تفكرينه، ابني عندي اهم من عملي.»

« نعم، نعم، بالطبع.»

آه، لقد كانت غبية، وحمقاء كبيرة. كانت دائماً جاهزة لتصدر الاحكام وهي تعرف فقط نصف الحقيقة. وهذا امر محرج.

ابتسم ابتسامة صغيرة وهو ينظر اليها، قال:« هل حقاً اعتقدت انني قد اقوم بعمل يسيء لابني واناأعرف ذلك؟»

« انا... لا، بالطبع لا. لم تكن تعتقد ان ذلك عمل خاطىء. كنت تفكر انه قادر على التأقلم في كل مرة.»

« حسناً، لقدفكرت بالامر، وغيرت رأيي.»

قالت باضطراب:« حسناً، يسعدني ذلك. اعتقد انك تقوم بالعمل الصائب.» استدارت وصعدت الدرج تحمل كتبها راحلة الى الابد. وهي تشعر انها كالحمقاء.

بعد مرور يومين على ذلك اتصل بها بالهاتف، قال:« كنت اريد التأكد انك في المنزل. هل نستطيع التحدث؟»

« متى؟ الان؟»

« نعم، لكن ليس على الهاتف.»

« حسناً، اصعد.» كانت قد بدأت بتوضيب اغراضها كي تجهز نفسها للرحيل الدائم. فالغرفة في فوضى كاملة، والارض مغطاة بأكوام من الكتب واشياءها الكثيرة والجميلة.

قالت له ليدخل عندما سمعت طرقاً على الباب. كانت منحنية على الارض تضع مجموعة من الكتب في صندوق.

حدق بها، وفي الرفوف الفارغة، وبمجموعة الكتب المكومة على الارض.

لمع شيء ما في عينيه، قال:« ما الذي تفعلينه؟»

« انظر في اغراضي. اريد ان انظم كل شيء كي اتمكن من ايصالهم الى مكان عملي الجديد في اقرب وقت ممكن. لا اريد الانتظار لشهور لاحصل عليها عندما اصل الى ماليزيا.»

اخذت مجموعة اخرى من الكتب ووضعتهم في الصندوق، تابعت:« عندما تنتهي المدرسة هنا سأذهب الى امي في ايطاليا لامضاء فترة من الوقت معها قبل الالتحاق بعملي الجديد.»

وقف هادئاً جداً، وهو ينظر اليها وملامح من التوتر والضيق واضحة على وجهه. لمع شيء ما في عينيه... شيء غريب ومخيف... وفجأة امتلات الغرفة بتوتر كبير.

قال، بصوت لا حياة فيه:« انت جادة بشأن الرحيل.»

«نعم، بالطبع. فلدي عمل هناك.»

مرر يده في شعره وقال:« سنفتقدك.»

قالت ببرودة:« ستتمكن من نسيان ذلك.» وشعرت فجأة بالانزعاج اكثر من التوتر والقلق.

بدت وكأن عينيه ستنفجران من الغضب وهو يقول:« تباً، زوو! لماذا؟ لماذا عليك القيام بذلك؟»

شعرت بتوتر من صوته القاسي. شدت قبضتيها بقوة وكأنها تريد الدفاع عن نفسها:« القيام بماذا؟»

« ترك البلاد!»

رفعت كتفيها، محاولة ان لا تتأثر بغضبه، وان تبقى هادئة:« لانني اريد ذلك. اريد مغامرة جديدة وانا حرة بالقيام بما اريده.»

بحركة سريعة، التقط صندوقاً من الكتب ورمى بمحتوياته على الارض، قال:« لا اريدك ان ترحلي، تباً.»

شعرت بقلبها يضرب في صدرها فحدقت به مصدومة. كانت عيناه تلمعان بغضب بائس. كان هناك كثير من الاشياء تستطيع قولها، لكن لم يخرج ولا كلمة من فمها.

« اريدك هنا! في هذا المكان! اريد ان اعرف ان بول سيجد له مكاناً يعود اليه! اريد ان اعلم انك هنا عندما...»

توقف عن الكلام، استدار بسرعة، وخرج من الباب واغلقه بقوة وراءه.

كانت ترتجف. ضمت يديها الى صدرها، واغمضت عينيها. الصمت والهدوء.

اشتمت رائحة الربيع المنتشرة حولها من النافذة.

سمعت، صوتاً، مر عبر ذاكرتها:« لقد عدت الى المنزل من العمل يوماً لاجدها تحزم حقائبها.»

جلست على الارض بين اغراضها المبعثرة واحلامها الكبيرة، ما زال صوته يرن في اذنيها. لا يريدها ان ترحل. يريدها هنا بقربه.

انه يهتم لها. غضبه الكبير اوضح ذلك، ونظرة اليأس في عينيه عندما رآها تجلس بين اغراضها، توضبها... ليس فقط تحزم اغراضها، بل تحزم كل عالمه.لقد عرف ذلك. وهو يهتم جداً لها.

لكن هذا لا يكفي. لا رغبة لديها ان تكون عاملاً مؤثراً في حياته. فلديها حياتها الخاصة واحلامها الخاصة.

سمعت وقع اقدام خارج شقتها. فتح الباب وعاد الى الداخل، الضيق واضح على وجهه. شعرت بقلبها وكأنها في حلقها. وضع يديه في جيبي بنطاله ونظر اليها محدقاً في عينيها.

قال بخشونة:« ارجوك ابقي.»

شعرت بتوتر كبير. كل ما فيها يقول نعم، ستبقى، لكن كان هناك شيء اقوى، يناقشها ويجادلها. شعرت وكأنها على حد سيف حاد. كان قلبها يضرب بقوة وجسمها يرتجف. نظرت اليه، والالم يزداد في داخلها، وهي تحاول السيطرة عليه.

قالت:« لا.»

الفصل الثاني عشر

حدق برينت بها، صامتاً.

بدا الوقت وكأنه يمتد الى ما لا نهاية. لاحظت زوو قميصه الحمراء اللون. وارتفاع وانخفاض صدره تحتها. سمعت صوت سيارة تقترب من المنعطف قرب منزلها، وهديل حمام قريب من نافذتها المفتوحة. ومن مكان ما سمعت صراخ اطفال. اصوات بعيدة. تفاصيل صغيرة في حياة عادية.

احساس غريب من المشاركة بالحياة بقوة. وسمعت في مخيلتها صدى صوتها لكلمة: لا. اذا خرج الان، ستفقده الى الابد.

لكنه لم يخرج.

راقبته يسير ببطء باتجاهها، وكأنه يسير بالرغم عنه. انحنى بجانبها على الارض وامسك بيديها. قال بصوت اجش:« زوو، ارجوك ارجوك لا تتركني.»

كانت عيناه تشعان. نظرت الى اعماقهما:« لا تتركيني.» رأت شفتاه تتحركان، ويقول مزيداً من الكلام.

« لا استطيع تحمل فكرة عدم وجودك في حياتي. تزوجيني. ارجوك، اقبلي الزواج بي.»

لم تسمعه يقول ذلك. انها خدعة من مخيلتها. لقد حلمت واشتاقت كثيراً لتسمع هذه الكلمات حتى انها تسمعها الان في فكرها.

همست، خائفة من ان تتنفس:« ماذا؟»

امسك وجهها بيديه وقال بصوت مضطرب من العاطفة القوية:« احبك، واريد الزواج بك.احبك، زوو.»

انهمرت دموع حارة من عينيها. شعرت وكأنها ستختنق وبدأت ترتجف، وكأنها تشعر شيء ما بداخلها يتحطم وينهار... حائط سميك من الخوف والالم والغضب. وبعدها بدأت تبكي، تبكي بحرارة وتتنهد حتى انها لم تتمكن من السيطرة على نفسها. تنهد وضمها الى صدره، يهدأها.

همس:«انني آسف. لم اقصد ان اجعلك تبكين.» مسح دموعها، وقبل عينيها، وقال مرة ثانية:« احبك.»

حاولت السيطرة على نفسها، متمنية ان تتوقف عن البكاء:«لم...اعلم. لم تدعني افهمك مرة. احياناً كنت تبدو غريباً وبعيداً جداً.»

لمع وجهه بتعابير مختلفة:« اعلم. اعلم. لم ارد ان اعترف انني محتاج لك في حياتي، او انني بحاجة لاية امرأة في حياتي.» توقف عن الكلام، واغمض عينيه، يصارع نفسه، كي يتكلم. قال وهو يضمها اليه بقوة اكثر. « وبعدها دخلت ورأيتك هنا تحزمين اغراضك، تحضرين نفسك لترحلي، وشيء ما... في داخلي اصيب بالجنون.»

تخيلته يرمي الكتب من الصندوق ويبعثر محتوياته في ارجاء الغرفة، ورأت تعابير الالم في وجهه.

همست:« اعلم. تذكرت يوم عدت الى المنزل لتجد زوجتك تحزم حقائبها لترحل.»

قال وهو يئن:« نعم.» بعدها استجمع قوته وتابع:« وبعد ان خرجت من هنا وقفت على رأس الدرج، انظر الى الاسفل،

www.elromancia.com

وكل الذي رأيته ظلام، وقعر لا نهاية له، وعلمت انني لا استطيع النزول، لانه لا يوجد شيء هناك، لا يوجد شيء على الاطلاق.» حف جبينه وتابع:« وبينما كنت اقف هناك لمعت بذهني انك لا تحزمين حقائبك لتتركينني، لكنني انا من تخلى عنك اولا.»

شعرت بألم في حلقها، فلم تقل شيئاً، ودعته يتابع.

« ادركت انك لا تشبهين لورين بأي شيء. وانك اعطيتني كل ما اردته في حياتي كل الاشياء التي افتقدتها... كالحنان والحب والفرح، وانك تقدمين لي الهدية التي لا تقدر بثمن وهو ان تكوني بمثابة ام لولدي. فوقفت هناك احدق في الظلام، عالماً انني ارمي بكل هذا جانباً.» اغمض عينيه ثانية تمتم وهو يشدها اليه بقوة وكأنه يريد التأكد انها موجودة بقربه، حقيقة وحية بين ذراعيه.

« تزوجي بي. وعيشي معي.»

همست:« سأفعل، سأفعل.» وهي تشعر باحساس كبير من الحب والراحة المطلقة.

قال:« انت كل ما اريده. اريدك بقربي، معي في الليل والنهار، في ذات المنزل، حتى آخر يوم من حياتي.»

شعرت وكأنها تغني وترقص وتضحك معاً، قالت وهي تقبله:« اه، برينت، احبك كثيراً.»

سأل برينت:« ماذا عن عملك الجديد؟ عن ذهابك الى ماليزيا؟ هل حقاً كنت تريدين الذهاب.»

شعرت زوو باحساس خفيف بالندم، تخلت عنه بسرعة:« نعم، لكنني اريدك اكثر. انت وبول مما لا شك فيه اهم ما لدي في حياتي.»

قال:« كنت تريدين الفرح والاثارة والتحدي في مكان جديد، هل كنت ترغبين في الذهاب الى البرازيل؟»

« نعم بالطبع احب ذلك. لكننا لا نستطيع السفر الان بسبب بول، وهذا الامر يناسبني. انه ليس المكان، بل الناس. كما تعلم.»

توقفت عن الكلام لتنظر في عينيه قبل ان تتابع:« اريد ان اكون في المكان الذي انت فيه، او ان تكون انت حيث انا. فالمكان لا اهمية له. لم اكن سعيدة هنا لان هذه الشقة جميلة ومريحة، او لان واشنطن مدينة مميزة. كنت سعيدة لانك انت وبول كنتما هنا معي.»

ابتسم قليلاً، ولمس خصلة من شعرها ولفها على اصابعه:« لقد جعلت هذه الشقة مكاناً جميلاً خاصاً ومميزاً.»

وضعت يدها على يده وقالت:« لكنها في النهاية مكان للعيش فيه. انها مجرد اشياء. والذي جعلها مميزة وجميلة هو اننا كنا فيها معاً.»

امسك بيدها وقبلها قائلاً:« سنشتري بيتاً وستستعملين موهبتك لتجعليه لنا مرة ثانية. بيت للحب والفرح والحنان.»

همست:« نعم.»

« وعندما يحين الوقت المناسب سنرحل جميعاً ثانية بحثاً عن مغامرة جديدة. وسنعيش في اي مكان يقدم الينا وستجعلينه بيتاً لنا مرة ثانية. اتعدين؟»

اومأت برأسها موافقة وقالت:« اعدك، الى اي مكان ذهبنا، سأصنع منزل احلامنا الخاص.»

مرر اصبعه على ذراعها وعيناه تشعان بالفرح ويكاد يبتسم

وهو يقول:« وماذا ان لم يكن هناك كهرباء او مياه في المنزل؟»

نظرت اليه وهي تضحك وتقول:« لا تبالغ.»

• • •

بينما كانا يعيدان ترتيب الكتب والاشياء الى الرفوف في الغرفة وهما في غاية السعادة، دق بول على الباب. كان في السينما مع بعض الاصدقاء وقد ترك له برينت ملاحظة ان يصعد الى شقة زوو عندما يصل.

كانت زوو تنتظربفرح لترى ملامح بول عندما يعلم بما حدث، ولم تكن تتوقع وجهه الغاضب وتوتره المفاجيء عندما فتحت له الباب. كان يشد على يديه بقوة وعيناه تطلقان النار.

سألت قلقة:« ما الامر؟» وابتعدت كي يمر من امامها بسرعة، ليقف امام والده وينفجر قائلاً:« كان عليك اخباري! لما لم تخبرني؟»

رفع برينت حاجبيه وقال:« اخبرك بماذا؟»

« عن البرازيل! طلب منك الذهاب الى البرازيل ورفضت! لماذا لم تخبرني! لم تقل كلمة عن هذا الموضوع! لم تخبرني ابداً!»

علت الدهشة ملامح وجه برينت وقال:« ومنذ متى اتحدث معك عن قرارات تتعلق بعملي، بول؟ لما انت غاضب هكذا؟»

وقف بول صامداً، وعيناه تلمعان بالغضب بينما برينت ينظر اليه بدهشة، قال:« انها حياتي ايضا!»

قال والده بهدوء:« لقد اخذت بعين الاعتبار ما يهمك، بول.»

« حسناً، كان عليك ان تسألني لانك اهتممت بطريقة خاطئة.»

ادركت زوو ان برينت لم يتمكن من استيعاب مقدار غضب ابنه، لكنه كان يحاول جاهداً ان يسيطر على غضبه حين قال:« هذا الامر يتعلق بمهنتي وعملي. نحن نتحدث عن امر معقد واخذ استشارتك امر غير مناسب. فأنا الكبير والبالغ وانت الطفل.»

« انا لست طفلاً! انت تعتقد انني لا افهم شيئاً! انت تعتقد...»

كان يرتجف من الغضب« حسناً، لكنني افهم كل شيء! انت لا تريد الذهاب بسببي!»

« لماذا تقول ذلك؟»

«لانها الحقيقة! كنت دائماً تخطط للرحيل الى بلد آخر! لقد قلت لي ذلك! والان ها قد غيرت رأيك!»

« لسبب مهم. اجلس، بول.» وجلس برينت بالقرب من زوو على الكنبة. وجلس بول على مقعد خشبي من افريقيا، وهو منزعج وغاضب.

انحنى برينت الى الامام، وقد وضع يديه فوق ركبيته. قال:« بول، رأيت انه من الافضل لنا ان نبقى هنا لفترة بعد. انت تحب مدرستك وها قد استقريت بطريقة جيدة وليس هناك من داع لنرحل ثانية ولنبدأ من جديد بمدرسة جديدة مع كل ما عانيته سابقاً.»

رفع بول رأسه وقال وكأنه يستنجد:« ابي، الا تفهم؟ اريد الذهاب! اريد الذهاب الى البرازيل! البرازيل ابي! فكر بالامر.»

رفع برينت حاجبيه مستغرباً وقال:« لماذا تريد الذهاب الى البرازيل؟»

نظر بول الى ابيه غير مصدق:« الامازون، ابي! الاشجار

الغريبة! الحيوانات! فكر بكل ما سأراه وسأتعلمه! الا ترى! سيكون الامر رائعاً!»

للحظة صمت برينت، وبعدها قال:« انني احاول لن اقوم بما هو افضل لك. لقد عانيت الكثير عندما اتينا الى هنا. كنت حزيناً ووحيداً ولا اعتقد اننا بحاجة لنمر بذلك ثانية.»

«لن يحدث ذلك! ابي، لقد اصبحت في الثانية عشر من عمري الان! ونحن نفهم بعضنا، و...» شعر بغصة وهو ينظر الى زوو ويتابع: «... وزوو علمتني الكثير من المشاعر والتعامل معها وكل الاشياء...»

اختفى صوته، وفقدت عيناه تلك التعابير الغامضة ليحل محلها الحزن والاسى وهو يتابع:« كما وان زوو لن تبقى هنا، ابي. انها راحلة.»

تغيرت ملامح برينت وهو ينظر الى ابنه، قال:« لا، لن ترحل، بول. لقد غيرت رأيها. ستبقى هنا معنا.»

نظر بول الى زوو، بعدها اعاد النظر الى والده، مندهشاً.

قال غير مصدق:« انت تعني...»

ابتسم برينت ووضع ذراعه حول كتف زوو، قائلاً:« نعم. قررنا ان نتزوج. اتمنى ان يناسبك الامر.»

ظهرت ملامح الفرح على وجهه ولمعت عيناه وبقي للحظة بدون ان يتفوه باية كلمة. بعدها انتقل الى الحركة السريعة، اخذ يرقص على طريقة رقصة الهنود في الحرب ويصدر اصواتاً مختلفة وهو يضغط بيده على فمه. رمى بنفسه على الارض، وقال:« اه، هذا رائع! هذا اجمل خبر! لا استطيع تصديقه!»

ثم صمت للحظة، يلتقط انفاسه. بعدها فجأة، قفز على قدميه ونظر بسرعة الى زوو وبعدها الى والده.

« وجدتها! لقد وجدت حلاً لمشكلتنا! يمكننا الذهاب جميعاً الى البرازيل! ولن اعاني من اية مشكلة على الاطلاق، اليس كذلك، ابي؟ سأحظى بمستشارتي الخاصة في المنزل!»

ضحكت زوو ونظرت الى برينت، الذي برم عينيه محدقاً بالسقف.

اعاد بول نظره اليها.« انت تريدين الذهاب، اليس كذلك؟ اقصد، لقد قلت لي انك تريدين الذهاب الى مكان ما.»

قالت بحذر:« لقد قلت لك ذلك، صحيح. لكن هذا شيء بحاجة للنقاش والبحث.»

«ناقشي الامر، اذاً! قولي لابي انك تريدين الذهاب! ناقشيه كي يقول نعم! وهكذا سنصبح اثنان من ثلاثة!» تنهد براحة وتابع:« تريدانني ان اغادر؟»

قال بول:« نعم.»

اسرع برينت ناحية الباب وهو يقول:« سأجلس على الدرج. فقط ناديني عندما تنتهيان. لكن اسرعا!»

اغلق الباب بقوة واجبرت زوو نفسها كي لا تضحك عالياً.

نظر برينت اليها، وهو يرفع حاجبيه.

« ماذا تقترحين ان نفعل، ايتها المستشارة؟»

عضت على شفتها وقالت:« انت والده.»

لم يبعد نظره عنها وهو يقول:« وانت ستصبحين والدته.»

قالت:« اقترح ان نذهب الى البرازيل.»

« لقد قلت لي بوضوح وبالتحديد ان ذهابي عمل غير مسؤول.»

حركت يدها وكأنها تبعد كلماته، قالت وهي تضحك :« هذا لانك كنت ستذهب بدوني كمستشارتك الشخصية في المنزل.»

« لا اريدك هنا او في اي مكان كمستشارة شخصية. اريدك كزوجة لي ولا تخطئي بذلك مطلقاً.»

قالت بعطف وحب:« حسناً» وقبلت خده.

سألها:« ماذا عن بول؟ هل سيكون بخير؟»

« اعتقد انه عبر عن وجهة نظره بوضوح، كما وانه، اصبح اكبر، اكبر بكثير من السنة الماضية.»

نظرت اليه فأصدر انيناً. « اعاني من رؤية مخيفة.»

« وما هي؟»

« انتما معاً، تتناقشان وتسألان حتى آخر حياتي.»

ابتسمت فرحة، ومررت اصبعها على قميصه وهي تقول:«حسناً، هكذا لن تشعر بالملل والسأم ابداً، اليس كذلك؟»

ضمها اليه وقال:« لا مجال لذلك، معك الحياة ستبقى حارة ومليئة بالنكهة المميزة، الى الابد.» رفع عينيه حتى التقت بعينيها وضحك لها بمكر وتابع:« وهذا ما احبه.»

تمـــــت